المصنوعات الحجرية والفخارية

المصنوعات الحجرية

الحجر هو المادة الخام الأولى التي صاحبت حياة الإنسان منذ نشأته فصنع منها الأدوات التي احتاج إليها في حياته اليومية. وبمرور الزمن اهتدى الإنسان إلى مواد أخرى كالفخار والمعادن والزجاج صنع منها أيضاً أوانيَ وأدوات أفضل وأكثر فاعلية من تلك التي كان يصنعها من الحجر. غير أنه لم يستغن عن الأواني والأدوات الحجرية حتى بعد أن ترقى في سلم الحضارة والمدنية، فظلت موجودة في حياته إلى الوقت الحاضر.

وفي تراثنا بالمملكة نجد عدداً من الأواني والأدوات التي صنعها الآباء والأجداد من الحجر واستخدموها في حياتهم. وهي تمثل استمراراً لتقاليد قديمة متوارثة في مناطق المملكة منذ أقدم العصور.

الإعداد والتجهيز. تتشابه مراحل إعداد المصنوعات الحجرية في معظم منتوجات هذه الحرفة. فخصائص هذه المادة متشابهة إلى حدٍ كبير من حيث تكويناتها الجيولوجية، كضخامة كتل موادها الخام وصلابتها، وعدم تسرب الماء منها، وما إلى ذلك. لذلك نجد أن المراحل التي تمر بها صناعة أداة أو آنية كبيرة الحجم هي المراحل نفسها التي تحتاجها مثيلتها ذات الحجم الصغير. كما أن الأدوات المستخدمة في إعداد تلك المصنوعات الكبيرة هي الأدوات نفسها المستخدمة في إعداد مثيلاتها الصغيرة. ويمكن تناول مراحل صناعة الأدوات والأواني الحجرية على النحو التالي:

القلع والقطع: تبدأ بعملية قلع الأحجار من الجبال باستخدام المعاول الكبيرة والعتل الضخمة، لزعزعة أو تحريك الكتل الصخرية المتفككة أو

المنفصلة عن الجبال. ثم بعد ذلك يبدأ تكسيرها إلى قطع كبيرة ثم إلى الأحجام المناسبة. وتستخدم في ذلك المقرعة الكبيرة (المِرْزَبَّة). أما عملية قطع الأحجار، أي فصلها عن الجبل الأصلي، فتتم باختيار أماكن محددة من الجبل كالزخراف والأجزاء غير السميكة، حيث تضرب بقوة بالمرزبة حتى تتهشم، أو يطرق عليها بالمطارق الكبيرة مع الاستعانة بالإزميل (الكزل)، ثم تفصل فيما بعد حسب الوظيفة المطلوبة.

التشذيب والتهذيب: بعد تجهيز الأحجار الخام بالطريقتين السابقتين، تأتي مرحلة التشذيب والتهذيب، أي محاولة تهشيم أو تكسير الأطراف الناتئة والزوائد من أسطح الكتل الحجرية، وإعطائها الهيئة الأولية المرادة. وتتم هذه المرحلة باستخدام أدوات معدنية مثل المقرعة والفأس والكزل.

الحفر والنقر: بعد إعطاء المصنوعات الحجرية شكلها المبدئي بالتشذيب أو التهذيب، تأتي مرحلة حفر أو نقر الأداة الحجرية بالأدوات المناسبة، كالمقرعة والكزل والمنقار والمحفار وغيرها، بحيث تحفر بالطريقة المناسبة وفقاً للعمق المطلوب، مع مراعاة سمك جدران الآنية أو الأداة، وكذا حجم الأجزاء الأساسية والثانوية في القطعة، مثل المقابض والقواعد والمصاب والأغطية وغير ذلك.

الصنفرة والبرد والصقل: تكون أكثر المصنوعات الحجرية ذات أسطح مستوية، لكنها خشنة غير ناعمة، مثال ذلك أحواض المياه والبخور والرحى. في حين أن هناك قطعاً حجرية تفرض طبيعة استخدامها أن تكون ذات ملمسٍ مصقول، مثل النقيرة ومسحنة الكحل وما شابه ذلك. وقد جرت العادة على أن تسوى أسطحها إما بصنفرة حجرية مناسبة، أو بمبرد حديدي، أو حتى بصقلها ببعض الأدوات المعدنية الحادة التي تكسبها ملمساً مصقولاً؛ وعلى كلٍ فالأمر مرهون بذوق الحرفي أو برغبةً صاحب القطعة.

وقد استغل بعض الحرفيين الأسطح الخارجية لمصنوعاتهم الحجرية لرسم بعض العناصر الزخرفية التي تنفذ في معظم الأحيان بأسلوب الحفر أو النقر بحيث تخرج الزخارف إما بارزة أو غائرة. كما أن هناك ما تنفذ عناصره الزخرفية بطريقة الحز، وفي أحيان نادرة بالتلوين. وتتمثل العناصر في معظم الأحيان بزخارف هندسية من الخطوط المستقيمة والمتوازية، ومن المثلثات

تفاصيل زخرفية على نقيرة حجرية

والدوائر والمربعات المنفردة أو المكررة أو المتداخلة، بالإضافة إلى بعض العناصر النباتية البسيطة مثل: الوريقات والأغصان، وإن كان هذا العنصر نادر الاستخدام.

الأدوات. ليست هناك أدوات خاصة بإعداد وتجهيز المصنوعات الحجرية متباينة الأنواع والأحجام، ولكن هناك عدداً من الأدوات المعدنية والخشبية والحجرية التي تستخدم في مجالات متعددة كالزراعة والحدادة، وتصلح بشكل مفيد وعملي في كافة المصنوعات الحجرية، ومن أهمها ما يلي:

الصّنْفره: حجر صلب له أوجه غير منتظمة، خشن الملمس، ويعد عادة من الأحجار الجرانيتية الصلبة، ويستخدم لبرد أسطح الأدوات الحجرية الأقل صلابة منه وتسويتها. وهناك ضرب من الصنفرة ذو سطح خشن جداً، تغطيه طبقة من الحبيبات الناتئة التي تعمل بمثابة حراشيف المبرد الحديدي الكبير.

العتله: تستخدم العتلة المعروفة في عملية قلع الكتل الصخرية والحجرية من الجبال، وكذلك في تقطيعها بأحجام متفاوتة. كما تستخدم في تكسير الكتل الضخمة وتفصيلها مبدئياً في مقالعها قبل نقلها إلى ورشة الحرفي الذي يعطيها هيئتها وأحجامها المرادة. وهي من فصيح العامة، جاء في لسان العرب: «... العَتَلَةُ: حَدِيدَةٌ كأنها رأسُ فأسٍ عريضةٌ... وقيل: العَتَلَةُ العصا الضَّخْمَةُ من حديدٍ لها رأس مُفَلطَحٌ كقبيعَةِ السيفِ...».

الفَارُوع: يستخدم الفاروع أو (الكَزْمَة) جنباً إلى جنب مع العتلة، أي في عملية فصل الكتل الحجرية عن أماكنها وكذلك في عملية تفصيلها وإعطائها أشكالها المبدئية.

الفَأس: يستخدم الفأس في مراحل كثيرة من مراحل إعداد وتجهيز المصنوعات الحجرية، إذ يستخدم في تنفيذ تفاصيل دقيقة عند تشكيل الأدوات مثل تهذيب وتشذيب أسطحها الخارجية وإزالة ما بها من بروز، كما يستعان به في تنفيذ الأجزاء المكملة للأواني الحجرية، مثل المقابض والفوهات

وغيرها. ويسمى الفأس في بعض مناطق المملكة بالقدوم.

المِبْرَد: يُكمل المبرد الحديدي وظيفة الصنافر الحجرية التي تستخدم في عملية صقل أوجه المصنوعات الحجرية وإعطائها لمسات أخيرة من شأنها إضفاء طابعٍ وظيفي وجمالي للقطعة. والمبارد المستخدمة في صناعة الأدوات الحجرية هي نفسها المستعملة في الصناعات المعدنية والخشبية، إلا أن المبرد الحديدي الخشن ذا الحراشيف الحادة كان الأكثر استخداماً في هذه الحرفة، لأن غيره من المبارد قد تكون عرضة لامتلائها ببرادة الحجر (حبيبات الرمل) مما يتسبب في عدم صلاحيتها للعمل.

المرزبّه: (راجع: المقرعة).

المِقْرَعه: تكثر أنواع وأحجام المقارع أو المطارق الحديدية التي تستخدم في إعداد المصنوعات الحجرية. ويستخدم الكبير منها، وهو ما يسمى المِرْزَبَّه، في المراحل الأولية لإعداد الأحجار التي ستصنع منها الأدوات. فالكتل الحجرية الكبيرة تهشم به وتفصل تفصيلاً مبدئياً في موقعها. أما المتوسطة والصغيرة فتستخدم في تهذيب الأحجار وإعطائها أحجامها وأشكالها النهائية، كما تستعمل إلى جانب الفأس في تشكيل الأجزاء الرئيسية والثانوية في المصنوعات الحجرية، مثل المقابض والفوهات والأغطية ونحو ذلك.

المِنْقار: يستخدم المنقار أو المحفار ذو الرأس المدبب أو الحاد القاطع في عمليات نقر وحفر الأدوات الحجرية من الداخل أو الخارج. كما يستخدم في إحداث أنواع من الحفر والثقوب والأخاديد ذات الطابع الوظيفي والزخرفي في شتى أنماط المصنوعات الحجرية. كما يستعمل المنقار ذو الحجم الكبير المعروف بالكِزِلْ إلى جانب المقرعة في عمليات تكسير الكتل الحجرية الكبيرة وإعطائها أشكالها الأولية.

أسماء الأواني الحجرية ووظائفها.

استفاد الإنسان من الحجارة فصنع أدوات مختلفة تلبي احتياجات حياته اليومية نذكرها مرتبة:

البُرْمَه: تبنى البرمة من أحجار صغيرة على قدر راحة اليد وتعرف بالحيوف أو الشِّلاَّف، وهي أحجار غير سميكة (رهيفة). وتستخدم في بناء هذه الأحجار مونة جصية قوية وغليظة تجلب من بعض الأكمات الصخرية أو الكثبان التي تحتوي على المادة الخام للنورة بحيث تُجهز بأسلوب تجهيزها نفسه كمونة للبناء أو التلييس

والتبييض. ويتم تنفيذ البناء على مراحل متتابعة، تبدأ ببطح حجر دائري يتراوح قطره بين ٢٠ و٣٠سم، ويكون هذا بمثابة قاعدة للبرمة ترتفع منه جدرانها نحو الأعلى بحيث ترص الأحجار بعضها فوق بعض على هيئة مداميك (سيفان) قصيرة ومائلة نحو الخارج بشكل ملحوظ. ويستمر رص هذه المداميك حتى منتصف البرمة بحيث تصبح مائلة نحو الداخل، وعندما تضيق دائرة المداميك عند فوهة البرمة وتصبح بمقدار قطر قاعدتها فإنها تضخم لتصبح كشفة غليظة لها. وبعد الانتهاء من عملية البناء تماماً تليس البرمة من الداخل والخارج عدة مرات كي تقوى جدرانها على تحمل ضغط كميات التمر التي سترص (تكنز) بها لوقت طويل. ويستخدم لتغطية فوهة البرمة إما لوح حجري مناسب، أو يُصنع لها خصيصاً غطاء من الخوص. وهناك من صانعي البرم من يستخدم في بناء جدرانها مادة الجبس فقط دون الاستعانة بأي نوع من الأحجار، لذلك تبدو جدران بعضها غير سميكة وخفيفة الوزن.

الجصّه: وهي حجيرة يكنز فيها التمر فيحول بعد ضغطه إلى كنيز، والمشهور أنها تبنى من الحجارة ويطلى داخلها بالجص ومنه أخذت اسمها، ولكن عثر على جصة منحوتة من الحجارة الضخمة. وسيرد تفصيل لبناء الجصة في مجلد العمارة التقليدية.

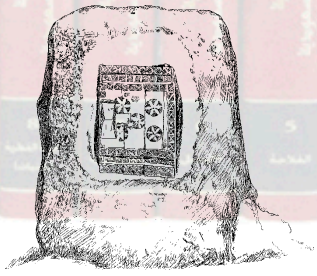

جصّه

الخرّاره: عبارة عن فرش أي صخرة منبسطة غير سميكة، به ثقب، يثبت في مخرج الماء من البركة وهو بمثابة صمام للبركة.

الرَّحَى: تعد الرحى من أشهر الأدوات الحجرية وأكثرها استخداماً في مختلف مناطق المملكة. وهي تصنع من أحجار متباينة في النوع واللون والصلابة، كما أن لها أحجاماً متفاوتة تعتمد على استخداماتها ووظائفها المتعددة. وتُصنع الرحى بقطع أو قلع الكتل الحجرية المناسبة بواسطة العتلة والمعول والمقرعة، ثم تهذب مبدئياً وبشكل سريع حتى تأخذ هيئتها الدائرية. بعد ذلك يباشر الحرفي في عملية تشذيبها وتحريشها بمقرعة أو مطرقة صغيرة مستعيناً بقدميه وساقيه في عملية مسك وتحريك وتدوير الرحى وقت التنفيذ، وفي هذه المرحلة يعطيها هيئتها النهائية المتكاملة، سواء كان ذلك في الجزء العلوي (الطَّبْقَة العلوية) المتحرك أو في الجزء السفلي الثابت. بعد ذلك يقوم الحرفي بثقب مركز الجزأين الطَّبْقَتين ويطلق على ثقب الجزء العلوي الحَلْق ويطلق عليه في نجد اللهاة، كما يقوم الحرفي بنقر حفرة دائرية عميقة على حافة الطبقة العلوية وذلك لتثبيت وتد خشبي ليكون مقبضاً (يداً) للرحى. ولقد جرت العادة على صناعة الجزء السفلي من الرحى بهيئة أفقية مسطحة، وإن كان هناك من الصناع من يجعل لها حواف مرتفعة لتستقبل الجزء العلوي. أما الجزء العلوي من الرحى فيكون ذا شكل مسطح أو محدب.

وجدير بالإشارة أن استخدام الرحى لا يتوقف عند الانتهاء من صناعتها، بل من الضروري إلحاق بعض الأجزاء التي ربما لا تعمل الرحى بدونها. إذ لا بد من تثبيت الجزء السفلي بحيث يوضع داخل فتحته المركزية وتد خشبي غير ثابت ويعرف هذا بالمنخاس أو المنخاز، وظيفته التحكم بارتفاع وانخفاض الجزء العلوي من الرحى، أي أنه يعمل بمثابة ميزانية يتحكم من خلالها بثقل الرحى. ويكمل عمل المنخاس من الأعلى قطعة خشبية صغيرة تعرف بالتبرقة توضع على رأسه لتستقبل الجزء العلوي من الرحى وتدور

معه، وقد جرت العادة على وضع كمية قليلة من لوح الصابون بين التبرقة والمنخاز وذلك لتسهيل حركة الرحى، أي أن الصابون يقوم بمهمة الزيت أو الشحم الذي يسهل حركة دوران المعدات في الوقت الحاضر. كما يوضع أسفل المنخاس قطعة حجرية يختلف ارتفاعها حسب الميزانية المرادة للجزء العلوي من الرحى الذي يرتكز على رأس المنخاس.

ويمكن أن تستخدم الرُّحيّة الصغيرة لطحن الورود والحناء مثلاً، بوضعها على سفرة من الخوص، أو قطع من الجلد. أما كبير الحجم من الرحى فيبنى له في العادة مكان معين من المنزل يثبت به ولا يُحرك من مكانه. كما يبنى له حوض طيني يحيط به ليتساقط داخله ما يطحن أو يجرش ثم يجمع من الحوض بعد ذلك.

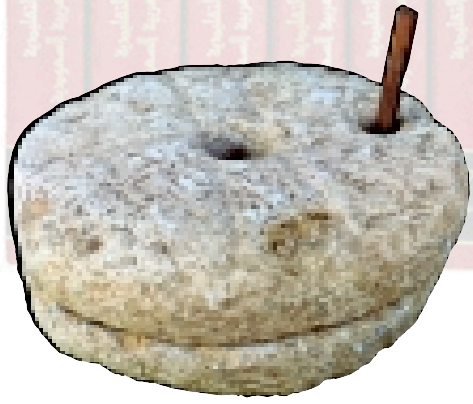

تستعمل الرحى لطحن الكثير من المواد الغذائية، سواء لغذاء الإنسان أو الحيوان. مثال ذلك الحبوب بأنواعها، والبهارات (البزارات) ونوى التمر (العَبَس) ونحو ذلك. وهناك مَنْ يستخدم الرحى فقط لطحن الحبوب. وطريقة عملها تكون بتعبئتها بالمواد المراد طحنها ثم تدير الطبقة العلوية امرأة أو امرأتان متقابلتان حسب حجم الرحى وكمية المواد المراد طحنها. فتخرج المادة مطحونة وتتناثر على

الحوض الدائري المذكور آنفاً. ومن أنواع الرحى ما يسمى المجرشة (راجع: المجرشة).

القَرُو: وجمعه القراوة وهي أحواض مائية، وتعد الأحجار بأنواعها المادة الخام الوحيدة التي تصنع منها أنواع القراوة ذات الأحجام والوظائف والاستخدامات المتعددة. وهناك أساليب مختلفة لصناعة هذا النوع من الأحواض المائية وإعداده. ومن أشهرها إحضار كتلة حجرية مصمتة تهذب وتشذب من جميع جهاتها حتى تأخذ شكلاً مربعاً أو مستطيلاً، ثم يحفر أو ينقر أحد أوجهها بأدوات الحفر المناسبة كالمقرعة (المطرقة) أو الكزل (الإزميل)، مع ترك حواف الحوض على حالتها الطبيعية. وتستمر عملية الحفر شيئاً فشيئاً حتى تبلغ قاعدته التي تترك بسمك يتجاوز ضعف سمك حوافه. وكلمسات نهائية تُبْرد أوجه هذه الأحواض من الداخل والخارج بصنافر حجرية خشنة أو بمبارد كبيرة حتى تصبح ذات ملمس متساو، كما تجّمل حوافها العلوية في بعض الحالات بشفة ناعمة ورفيعة. وهناك من الحجّارين من يضيف إلى الجزء السفلي من الأحواض فتحة أو فتحات صغيرة وربما تزود بأنبوب ضيق لإخراج الماء، ويمكن التحكم بها بسدادة مناسبة من الخشب أو القماش. وهناك أسلوب آخر لصناعة الأحواض الحجرية وهو تشكيل أوجهها الأربعة، وكذا قواعدها بلوح أو ألواح حجرية متينة تبنى بمونة جصية أو إسمنتية محلية صلبة وقوية. وتستخدم هذه الأحواض على نطاق واسع لحفظ المياه، سواء للشرب أو للوضوء أو غير ذلك في المنازل والمساجد والمزارع ونحوها. كما يستخدم ضرب منها لسقاية الحيوانات بأنواعها سواء عند

القرو

الحاضرة أو البادية. وتستخدم أنواع من الأحواض الحجرية ذات مسحة جمالية للأعمال المنزلية من قبيل غسيل الملابس أو حتى حفظ بعض الأطعمة على اختلاف أنواعها.

المجرشه: تعمل المجرشة عمل الرحى وهي تشبهها في شكلها إلاّ أن قرصها الدائري من حجرتين لا تتطابقان تمام المطابقة، بل يظل بينهما فراغ بسيط جداً مما يجعل الحبوب التي توضع بها تجرش جرشاً ولا تتحول إلى طحين كما هو الحال في المطحنة.

المدَقّه: حجر ذو طبيعة صلبة وقوية، تأخذ في الغالب شكلاً غير منتظم، فمنها المضلعة ومنها البيضية ومنها الدائرية، كما يتفاوت سمكه من قطعة لأخرى. وما يميز هذا الحجر عن غيره هو أن سطحه العلوي ذو انحدار طفيف يسمح ببقاء ما يدق عليه. ويتبع المدقة يد حجرية من جنسها وتكون عادة بحجم قبضة اليد. وتستخدم هذه الأداة الحجرية في الغالب لإعداد بعض أنواع أطعمة الحيوان، كنوى التمر (العبس) الذي يدق عليها، ويسمى الشخص الذي يقوم بهذه المهمة (ذكراً كان أم أنثى) بهبَّاد العبس ويسمى في نجد رضاح العبس. كما تستخدم لأغراض أخرى مثل سحن أنواع السموم التي تعد لمكافحة الحيوانات الضارة في المنازل والمزارع من قبيل الجرذان والفئران والثعالب والقطط وغيرها.

المِسْحانه: تصنع المسحانة من أحجار صلبة صعبة التفتت، وتختار لها أحجار مضلعة أو أسطوانية الشكل ثم تهذب مبدئياً من الخارج باستخدام المقرعة. بعد ذلك يُنقر مركزها بالمنقار نقراً خفيفاً حتى تتشكل حفرة صغيرة تتسع وتتعمق شيئاً فشيئاً. وعند بلوغ العمق والسمك المطلوبين تصبح المسحانة تامة الصناعة، وتبقى لمسات أخيرة تكميلية مثل برد أو صنفرة أسطحها الخارجية والداخلية بالمبارد الحديدية أو الصنافر الحجرية. وفي حالات قليلة يزخرف سطحها الخارجي ببعض الخرز بطريقة هندسية من الخطوط المستقيمة والمتوازية والمائلة، وبعض الأشكال المربعة أو المستطيلة أو المعينية. ويتبع المسحانة الحجرية يد من جنسها تكون على هيئة يد الخنجر أو قرن الثور، وهناك من يستخدم اليد المصنوعة من الخشب على غرار يد الموجاة الخشبية. وهي تستخدم بوجه عام كالموجاة أو النجر المعدني، أي لسحن أنواع البهارات وبعض الحبوب ومختلف أنواع اليوابس، إلا أن كثيراً من الناس

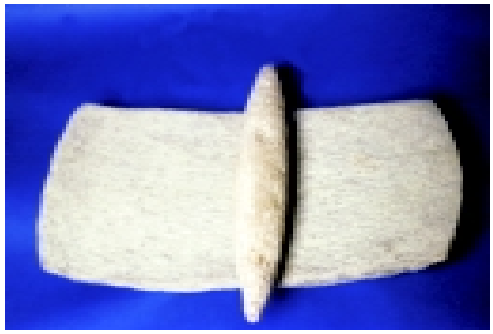

مسحقة (مرهكه)

يجعل استخدام المسحنة مقتصراً على سحن الكحل، لذلك يغلب عليها اسم مسحنة أو مسحانة الكحل. وفي منطقة عسير هناك نوع يسمى المسحقة أو المرهكه. وهي منحوتة من الحجر المستطيل مع قطعة أخرى من الحجر لسحق الحب وغيره.

المطحنه: من أدوات المطبخ، وتقوم بوظيفة الرحى إلا أنها تختلف عنها في شكلها. فهي تتكون من حجرة مستطيلة توضع عليها الحبوب المراد طحنها ويمرر عليها قضيب من الحجر ذهاباً وإياباً يحرك بكلا اليدين، يسمى (الفهر). وينتشر هذا النوع من المطاحن الذي يشبه المهراس في المنطقة الجنوبية من المملكة، كجازان ونجران والقنفذة، وقد وجدت أمثلة له يرجع تاريخها إلى عصور ما قبل الميلاد عثر عليها في الحفريات الأثرية كحفرية قرية الفاو.

النِّقِيْره: تصنع النقيرة من أحجار مختلفة الأنواع والأحجام والألوان وفقاً لشرط أساسي هو صلاحية ومتانة هذه الأحجار، بحيث لا تتفتت منها أجزاء عند استخدامها. وتصنع النقيرة، كغيرها من الأدوات الحجرية، بقطع كتلة حجرية مناسبة، ثم تشذب وتهذب حسب الحجم المراد. وبعد برد وصنفرة وصقل سطحها الخارجي، تنقر حفرةٌ في منتصف سطحها العلوي يتوقف عمقها وقطرها على الوظيفة التي صنعت النقيرة من أجلها. وتستخدم النقيرة ذات الحفرة الواحدة لدق وسحن جميع المستلزمات العائلية، من اليوابس

النقيره

والحبوب والبهارات والقهوة والهيل والزنجبيل وما إلى ذلك. وتنظف بقطعة قماش خاصة أو تغسل بالماء بعد الاستخدام. وهناك ضرب من النقاير سطحها العلوي له حفر (عيون) تخصص كل حفرة منها لسحن نوع معين من اليوابس، وذلك حتى لا يؤثر بعضها على بعض. وهي لدى بعض الناس تستخدم فقط لسحن مستلزمات القهوة، في حين تسحن المواد الأخرى بالنجر المعدني أو بالموجاة الخشبية أو بغيرها.

قال الشاعر محمد أبو دباس:

وياحمس قلبي حمس بنٍ بمحماس

وياهشم حالي هشمها بالنقيره

ويتبع النقيرة عادة أداة حجرية هي يد النقيرة أو المهوى، ويتراوح طولها بين ٣٠سم إلى ٨٠ سم، وتكون بمثابة يد النجر المعدنية. وهناك من صناع النقيرة من يهتم بها جل الاهتمام، فيصنعها على هيئة تاج العمود الرخامي، ويجمّل وجهها وحوافها بأساليب زخرفية، بارزة أو غائرة، غاية في الدقة والجمال. ولعل من أشهر النقاير التي تصنع في المملكة تلك التي تصنع بالجوف حيث يطلق على المتقنة منها نقيرة الجوف.

أواني الحجر الصابوني. الحجر الصابوني نوع سهل التشريب ينسب لعائلة الكلورانيت شيست، وقد صنع منه الإنسان في الجزيرة العربية منذ العصور القديمة أوانيَ وأدوات استخدمها في حياته اليومية، كقدور للطبخ وصحون لتناول الطعام ومسارج للإنارة ومباخر لحرق البخور وعلب لحفظ الحاجات الخاصة وأدوات تسلية للصغار والكبار كأحجار النرد وأحجار الشطرنج، بالإضافة إلى صناعة نماذج مصغرة من هذه الأواني والأدوات كلعب للأطفال. وقد عثر في المنطقة الشرقية بالمملكة على أوانٍ وأدوات مصنوعة من الحجر الصابوني يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وعلى أوانٍ من الحجر الصابوني دقيقة الصنع في مواقع قرية الفاو والأخدود وثاج وأكرى ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام. كما عثر على نماذج أخرى يرجع تاريخها إلى الفترة الإسلامية في مواقع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الربذة والحورا وبدا ومدين. وقد عُرفت أواني الحجر الصابوني في المصادر الإسلامية المبكرة باسم أواني البرم، وعرفت مناجمها باسم معادن الأبارم.

وقد استمرت صناعة أواني الحجر الصابوني واستخدامها في عدد من

مسرجة نجمية الشكل

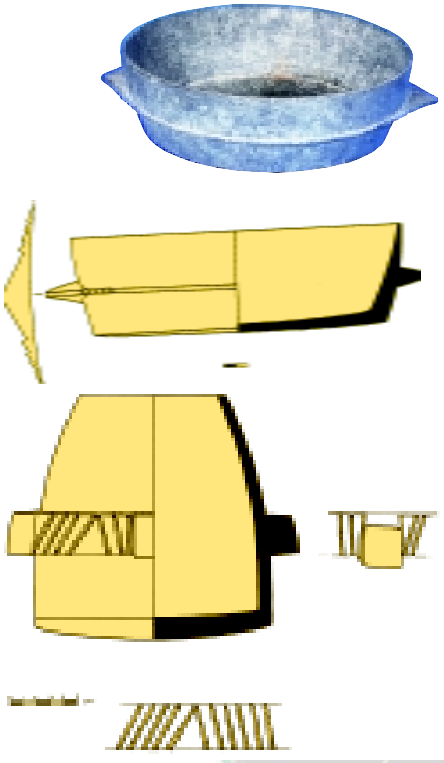

أواني من الحجر الصابوني

واحات نجد طوال فترات التاريخ الإسلامي وحتى الماضي القريب، وشاع بين الناس في جنوب غرب المملكة استخدام قدور الحجر الصابوني وأوانيه في الطبخ وتقديم الطعام واستخدام نوع من المسارج في الإنارة.

الفخار: مراكز الصناعة ومراحلها

عرفت صناعة الفخار التقليدي بنوعيه العادي والمزجج في مناطق متعددة من المملكة العربية السعودية. وقد كان لصناعة هذين النوعين من الفخار أهمية واضحة ضمن الصناعات والحرف التقليدية الأخرى.

وتنتشر صناعة الفخار في عدد من مناطق المملكة. ويعمل بها حرفيون ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد وصلت إليهم عبر مئات السنين. ونبدأ بعرض لمراكز صناعة الفخار:

الفخار غير المزجج. توجد مراكز صناعة الفخار غير المطلي (غير المزجج)

في مناطق عديدة في المملكـة منها مكة المكرمة والمديـنة المنورة وجدة والطائف وجازان والقنفذة وعسير ونجران والباحة والمنطقة الشرقية.

ففي مكـة المكرمة تشير المـصادر إلى وجود أفران لحرق الطين وصناعة الآجر منذ عصر بني أمية. وقد أشار الأزرقي، الذي عاش بمكة المكرمة في القرن الثالث الهجري، إلى وجود سوق للبرّامين فيها. والبرّامون هم صانـعو البرام (القدور الـفخارية) أو بائعوها. وظلت صناعة الفخار مزدهرة بمكة المكرمة طوال فترات التاريخ الإسلامي، ولم تتراجع إلا بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري. ويذكر محمد طاهر الكردي المكي في كتابه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام أن: «الشراب ... ... إناء مـن الطين ... ... يضعون فيها الماء ليبرد، وإن صناعتها بمكة المكرمة من قديم الأزمان ... ... ، وكانوا (أي الفخـارون)، إلى سنة ١٣٦٠هـ يعـتنون بصناعتها هي والأزيار الصغيرة فيزخرفونها ويجعلونها في شكل جميل بديع، كما كانوا يصنعون الأزيار الكبار أيضاً، وكان كل ذلك يعرض في الدكاكين بكثرة، وكذلك أباريق الوضوء من الطين، ولكن عنايتهم بصنع ذلك قلّت، بعد السنة المذكورة، شيئاً فشيئاً، بسبب وجود مصانع الثلج وآلات التبريد». (الكردي ١٣٨٥ ج٢ : ١٣٥). وكان بعض صناع الفخار بمكة المكرمة ينقلون نشاطهم إلى الطائف في فصل الصيف. ويطلق على الممارس لهذه الحرفة في مكة المكرمة اسم الفخـراني، ويسمى فاخـوري في المدينة المنورة.

مجموعة من الأواني الفخارية، من صناعة مكة المكرمة والمدينة المنورة

وتمارس صناعة الفخار بمكة المكرمة على نطاق ضيق في الوقت الحاضر بسبب تراجع الإقبال على شراء الأواني الفخارية، وقد توقف استخدام دوارق الحرم -التي تميزت مصانع مكة المكرمة بإنتاجها- في سقاية المصلين بالحرم المكي، غير أن أحد المكيين الذين ورثوا هذه الحرفة وهو السيد حسين أبو لبن، سعى إلى تطوير صناعته التقليدية فأقام مصنعاً حديثاً لإنتاج الأواني والتحف والمباخر الخزفية، ولاقت مصنوعاته نجاحاً كبيراً في الأسواق.

أما المدينة المنورة فقد كان بها خلال الثلاثين عاماً الماضية ما يزيد على عشرين مصنعاً للفخار. وقد توقف العمل في معظمها في الوقت الحاضر، لقلة إقبال الناس على شراء إنتاجها، ولانصراف بعض أصحابها إلى الوظائف الحكومية وكِبَر سن بعضهم الآخر.

وأشهر المصانع التي كانت بالمدينة المنورة:

- مصنع عباس بنيه الذي توفي صاحبه.
- مصنع مرزوق بنيه، وتوقف عن العمل لكبر سن صاحبه.
- مصنع عبدالله قواز، وصاحبه الآن موظف حكومي.
- مصنع عباس الأطرش الذي توفي صاحبه.
- مصنع عبدالحميد عباس الأطرش، ويعمل صاحبه الآن في مهنة أخرى.
- مصنع الشيخ خليل فاخورجي الذي توفي صاحبه.
- مصنع جعفر عواد الحربي الذي توفي صاحبه.
- مصنع أحمد عبد ربه الذي توفي صاحبه.
- مصنع السيد محمد الصغير الذي توفي صاحبه.
- مصنع السيد عباس الصغير الذي توفي صاحبه.
- مصنع سلامة محمد جمعة المولد، وصاحبه الآن موظف حكومي.
- مصنع مسلم محمد جمعة المولد توقف صاحبه عن العمل لكبر سنه ويعمل الآن في بيع الأواني الفخارية التي يصنعها غيره.
- مصنع عوض حسن ثامر المولد الذي توفي صاحبه.
- مصنع سويلك الشنقيطي، وصاحبه الآن موظف حكومي.
- مصنع مالك الشنقيطي، وصاحبه الآن موظف حكومي.
- مصنع نبيه الشنقيطي، وصاحبه الآن موظف حكومي.
- مصنع سالم الشنقيطي، وصاحبه الآن في مهنة أخرى.

- مصنع عواد الأحمدي، وقد توفي صاحبه.
- مصنع خضر فارس، وقد توفي صاحبه.
- مصنع مصطفى أبو لبن الذي ما يزال العمل والإنتاج مستمرين فيه غير أن صاحبه توقف عن ممارسة المهنة بنفسه، واستقدم عمالاً من الخارج. وبيوت الحمام المصنوعة من الفخار هي أكثر ما ينتجه هذا المصنع في الوقت الحاضر، لإقبال المزارعين على شراء كميات كبيرة منها لعمل أبراج للحمام في مزارعهم.
- مصنع يحيى سعيد أبو لبن الذي تجاوز صاحبه الستين من العمر، غير أنه ما يزال يمارس العمل على نطاق محدود، ويحرق فخاره مرتين في السنة ويبيع إنتاجه في مهرجان الجنادرية الذي يشارك فيه سنوياً.

وكانت المصانع -السابق ذكرها- تحرق فخارها في الماضي مرتين شهرياً في أفران كبيرة جداً. ويتراوح عدد الأواني في الحرقة الواحدة بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ إناء متنوع من الشراب، والجرار، والدوارق، والطاسات وغير ذلك. وبعملية حسابية بسيطة ندرك ضخامة ما كان ينتج من الأواني الفخارية في مصانع المدينة المنورة في الماضي القريب.

وفي جدة كان هناك مصنعان للفخار، أحدهما لعلي الهندي وقد توفي منذ زمن، والآخر لعاتق الحربي الذي ترك صناعة الفخار وصار موظفاً في إحدى المدارس.

وفي المنطقة الشرقية توجد مصانع للفخار في جبل قارة والهفوف والمبرز والقطيف. وصناعة الفخار في المنطقة الشرقية قديمة جداً، فقد عثر على أوانٍ تحمل خصائص فخار المنطقة الشرقية يعود تاريخ بعضها إلى عصور سابقة للإسلام، وبعضها الآخر إلى العصور الإسلامية. كما أن قُلَل هجر كانت مشهورة في صدر الإسلام خارج نطاق إقليم هجر (الأحساء). وقد استمرت صناعة الفخار بمنطقة الأحساء على مر العصور بلا انقطاع، وتوارثت بعض الأسر العمل بهذه الحرفة عبر أربعة عشر جيلاً، مثل أسرة علي السيد هاشم الغراش التي تمارس نشاطها بجبل قارة. ومن العاملين بهذه الحرفة بالمنطقة الشرقية عائلة أبو دريس بالمبرز وعائلتا الغراش والبيك بالقطيف. ويعد السيد حسن علي الغراش، الذي يعمل بجبل قارة، أشهر العاملين في صناعة الفخار بالمنطقة الشرقية وأحد

الوجوه المعروفة في مجال الحرف التراثية بالمملكة، فقد شارك في معظم المعارض التي أقيمت في العواصم العالمية وخاصة معرض (المملكة بين الأمس واليوم). كما شارك في جميع مهرجانات الجنادرية للتراث والثقافة. ويبلغ حسن الغراش من العمر أكثر من خمسين سنة، وهو آخر العاملين من أسرته في هذه المهنة. ويساعده في العمل ابنه الذي التحق بمهنة آبائه وأجداده. واسم الغراش مشتق من الغرشة وهي إناء الفخار.

وفي منطقة جازان تنتشر مراكز صناعة الفخار غير المزجج في أماكن متعددة، وأشهر هذه الأماكن صبيا وبها مصانع لأسرة مبارك نصيب، الذين عملوا لفترة طويلة في هذه الصنعة. وفي حرجة ضمد يوجد مصنعان للفخار العادي، أحدها للأخوين علي إبراهيم المجرشي، وأحمد إبراهيم المجرشي، والآخر لعلي شوعي كعبي. كما توجد مصانع أخرى في الخضراء، وصامطة، وأبو القعايد، وأَحَد المسارحة، والخوبة. ويسمى صانع الفخار في منطقة جازان راعي الأواني.

وتساعد النساء في منطقة جازان رجالهن في هذه الصنعة، ويقمن بصنع الأواني الصغيرة كالمشهف والملحة، ولا يصنعن الأواني الكبيرة التي تحتاج إلى جهد كبير، كما يشاركن في جلب الطين والوقود.

أما في منطقة القنفذة، فتتركز مصانع الفخار في قرية البرمة، التي تبعد حوالي ٨ كيلومترات عن مدينة القنفذة، وفي قرية عمرات وفي حلي. ويطلق على العاملين بهذه الحرفة في منطقة القنفذة اسم صناع الضياع أي الأواني. وجميعهم من المغاربة، أي القادمين من الضفة الغربية للبحر الأحمر، وقد تبقى منهم في قرية البرمة: محمد ياسين المغربي، بالغيث عبده المغربي، علي بن عبده المغربي، سعيد بن علي المغربي، محمد بن عمر المغربي، محمد أحمد المغربي، علي محمد المغربي، وجميعهم من المسنين.

وفي منطقة عسير أماكن متعددة تمارس فيها صناعة الفخار مثل أَحَد رفيدة، وكان محمد بن سعيد وأسرته يعملون بها. كما توجد مراكز لصناعة الفخار في أبها، وفي المسقي الواقعة على بعد ٥٠كم جنوب شرق أبها، وفي النماص، حاضرة بلاد بنى شهر، وفي تنومة، وفي الأصدار.

وتعمل النساء إلى جانب أزواجهن في هذه الحرفة في منطقة عسير. ويسمى صانع الفخار المِبَرِّم، وتسمى زوجته التي

تعمل معه المِبَرِّمة نسبة إلى البرمة، وهي قدر الفخار. وكانت أواني الفخار، التي تسمى أيضاً أواني المدر في عسير، من أساسيات الأدوات المنزلية ولا يخلو منها منزل. وعندما تُزَوِّج امرأة ابنتها تطلب من المبرم القريب من مسكنها صناعة مجموعة من الأواني والأدوات، وتعطي له نظير ذلك أُجرته نقداً أو حبوباً وعلفاً للحيوانات.

وفي منطقة الباحة تصنع الأواني الفخارية في قرية دُكَّة الواقعة على بعد ٢٠كم جنوب بلجرشي، ويعرف صانعوها باسم التَّوَّارَة نسبة إلى التُّورة، وهي قدر الطبخ المصنوع من الفخار. وتُصنع في المنطقة أوانٍ مشابهة لتلك التي تصنع في منطقة القنفذة، إلا أنه يوجد اختلاف بينهما في أسماء الأواني.

وفي منطقة نجران، ظلت الأواني الفخارية تصنع منذ عصور قديمة ويجلب طينها من الجبال. وتشبه أواني نجران الفخارية تلك التي تصنع في منطقة جازان، ويسمى صانعها برام، وقد تناقص عدد البرامين في نجران في الوقت الحاضر. ومن الحرفيين النجرانيين الذين ما يزالون يمارسون هذه الحرفة عبدالله النجار الذي يُشارك في مهرجان الجنادرية ممثلاً لمنطقة نجران في هذه الحرفة.

أمّا في بعض المدن الشمالية بالمملكة التي لا توجد بها صناعة فخار فكانت

صحون خزفية مستوردة، تعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي (شمال غرب المملكة)

ربات البيوت يصنعن بأنفسهن بعض الأدوات المنزلية من الطين. فقد كانت النساء في مدينة العلا يصنعن التنور والمجامر من طين المدر ويحرقنها في النار ويزخرفنها بالمغرا والنيلة. كما كانت النساء في مدن ضبا والوجه وأملج، الواقعة في منطقة تبوك، يصنعن الكوانين والأفران نصف الكروية من الطين. أما الأواني الفخارية المستخدمة في هذه المدن فكانت تستورد من مصر عن طريق البحر، وتجلب من المدينة المنورة. كما انتشر في مدن الساحل، خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، استخدام الصحون الخزفية المزخرفة المصنوعة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا، وكانت تستورد من مصر وفلسطين.

ولم تكن صناعة الأواني الفخارية منتشرة في مدن نجد، في ضوء المعلومات المتوافرة لدينا حتى الآن، على الرغم من استخدام الناس في منطقة نجد الأواني الفخارية في حياتهم اليومية. وكانت تلك الأواني تصل من خارج المنطقة، وخاصة من الأحساء. كما أقبل الناس في منطقة نجد على استخدام الصحون والطاسات الخزفية (الصيني) حيث يلاحظ وجود كسر من أنواع هذه الأواني التي كانت تنتج في القرنين التاسع عشر وبداية القرن العشرين في شوارع الأحياء القديمة في أشيقر وسدوس وعنيزة وبريدة. وكانت أكثر هذه الأواني الخزفية تصل إلى المنطقة من الشام والعراق بواسطة تجار العقيلات. وقد احتفظت مفردات التراث الشعبي في منطقة نجد بكثير من أسماء الأواني الفخارية، مثل الزير والغضارة (الطاسة).

الفخار المزجج. كانت صناعة الفخار المزجج تمارس على نطاق واسع في عدد من مراكز صناعة الفخار بالمملكة. ففي منطقة الأحساء أنتج الفخارون صحوناً، وطاسات، وجراراً كبيرة مطلية بطلاء زجاجي ملون باللون الأخضر والبني والأزرق، وقد توقف إنتاج هذه الأواني المطلية منذ زمن. وفي المدينة المنورة ومكة المكرمة كان صناع الفخار يطلون فناجين القهوة والطاسات الصغيرة بطلاء زجاجي أزرق أو بني. وكانت مادة الطلاء مكونة من خليط التيزاب والرصاص وكسر الزجاج المطحون. وقد توقف إنتاج هذه الفناجين والطاسات منذ نصف قرن تقريباً بعد أن أصبح الفخار المزجج يستورد بكثرة من الخارج.

وفي المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، مثل جازان والقنفذة، أُنتجت

أنواع متعددة من الأواني المطلية بالطلاء الزجاجي شملت المباخر والفناجين والأسرجة والزبديات والحيسِيَّات بأحجامها المختلفة (وهي طاسات تستخدم لفتيت الخبز والمرق)، والمزهريات، وأحجار الشيشة ولعب الأطفال. وما تزال صناعة هذه الأواني المزججة قائمة في منطقتي جازان والقنفذة، على الرغم من قلة عدد المشتغلين بها في الوقت الحاضر.

ومن الأسر التي كانت تصنع هذا النوع من الأواني عائلة مبارك نصيب في صبيا، وقد اشتهر منهم عبدالقادر نصيب، وعلي نصيب، وربيع نصيب، وناصر عبدالقادر نصيب، وجابر مبارك نصيب، الذي التحق بوظيفة حكومية في جدة، وأصبح يمارس المهنة على نحو غير منتظم، ويصنع رؤوس الشيش والفناجين. كما مارس هذه المهنة في منطقة جازان زين بن علي جنادي، الذي توقف الآن عن العمل لكبر سنه، وعبدالرازق مطلق حسين الدوسري الذي تعلم المهنة من أخواله من عائلة مبارك نصيب، وما يزال يمارسها في الحارة الشرقية بمدينة صبيا. كما يوجد صناع آخرون مارسوا صناعة الأواني المزججة في أَحَد المسارحة. وفي قرية عمرات بمنطقة القنفذة هناك مجموعة من الحرفيين

مجموعة من الأواني الفخارية المزججة (منطقة جازان)

دورق من الفخار المزجج
(إنتاج مصنع حديث في مكة المكرمة)

مبخرة من الفخار المزجج
(إنتاج مصنع حديث في مكة المكرمة)

ممن يصنعون الفناجين المطلية، منهم غريب علي المغربي وسالم علي المغربي. كما يوجد صناع للفناجين المطلية في حلي.

وفي الوقت الحاضر يتولى أحد مصانع الخزف في مكة المكرمة صناعة المباخر على النمط الذي كانت تصنع به في جنوب غرب المملكة، ويغطيها بطلاء القصدير الأبيض. كما ينتج المصنع أشكالاً متعددة من الأواني والدوارق والتحف الخزفية المطلية بالطلاء الأبيض.

وتمر صناعة الفخار بعدة مراحل تشمل: تحضير المادة المستخدمة في الصناعة، ثم عملية تشكيل الآنية وحرقها وزخرفتها. وفيما يلي عرض لهذه المراحل:

المادة الخام. تعد المادة الطينية المادة الرئيسية في صناعة الفخار. وتختلف أنواعها من منطقة إلى أخرى. ففي المدينة المنورة ومكة المكرمة تتوافر طينة السيل المترسبة في الحرار وقيعان الأودية، وتقل الطينة الحمراء. ويستخدم الفخارون في المدينة المنورة ثلاثة أنواع من طينة السيل:

خشنة وناعمة وروبة خضراء، تخلط وفق نسب محددة ليشد بعضها بعضاً. وسبب خلط طينة السيل الخشنة مع الطينة الناعمة أن الطينة الخشنة تتشقق عند تشكيلها إذا عجنت وحدها، في حين تتصدع طينة السيل الناعمة وتلتوي عند حرقها في النار إذا لم تخلط مع الطينة الخشنة. أما طينة الروبة الناعمة فتضاف إلى النوعين السابقين لتحدث التماسك بينهما. ويحصل الفخارون في المدينة المنورة على طينة السيل الخشنة والناعمة من منطقة العاقول، أو من منطقة أبيار علي، أو من الحرة الشرقية. أما طينة الروبة الخضراء الناعمة فتجلب من خزان سد العاقول. وفي مكة المكرمة تجلب طينة السيل من الأودية القريبة منها.

وطينة السيل المستخدمة في المدينة المنورة ومكة المكرمة ضعيفة بشكل عام، ولا تتحمل عند الحرق درجة حرارة عالية جداً، ولا تصلح لصناعة الأواني التي توضع على النار، لذلك يحصر الفخارون في المدينة المنورة ومكة المكرمة استخدامها في صناعة الأواني المعدة لحفظ المياه وتبريدها، وفي صناعة المباخر والكوانين التي يوضع بها تراب أو رماد يحول بين جدارها الفخاري والنار الموقدة فيها. أما أواني الطبخ فكانت تستورد من منطقة القنفذة ومنطقة جازان، لأن طينة الجنوب قوية وتتحمل الطبخ بها على النار. واستخدام الطين المترسب من سيول الأمطار مقتصر على مصانع الفخار في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، أما باقي مراكز صناعة الفخار في المملكة فتستخدم الطينة الحمراء قوية التماسك.

وفي المنطقة الشرقية يستخدم الطين الموجود في الطبقات الرسوبية، ويجلب من أماكن متعددة معظمها يوجد فيها الطين على عمق ثلاثة أمتار تحت سطح الأرض. وتوجد هذه الأماكن عادة بعيدة عن مصانع الفخار، لذلك كان الغرَّاش (الفخراني) يستأجر عدداً من عمال النقل (يزيد عددهم في بعض الأحيان على اثني عشر عاملاً) مع حميرهم، ويذهب معهم بنفسه لاختيار الطين المناسب، وهو ذو لونين أحمر وأخضر، يخلطان عند العجن، وتضاف إليهما كمية من الرمل. وتمتاز طينة المنطقة الشرقية بأنها قوية تصلح لصناعة جميع أنواع الأواني.

وفي محافظة القنفذة، يجلب الطين من الخبت، وتحفر الأرض للبحث عنه لاختيار الكتل الكبيرة (اللُك)، ولا يختار الطين الهش الناعم القريب من سطح الأرض. ولون الطين في هذه المنطقة بني غامق.

وفي منطقة جازان، يجلب الطين من الأرض الزراعية، ويفضل الطين البعيد عن سطح الأرض، وهو طين وثيق أملس ذو لون أحمر أو بني غامق. ولا يؤخذ الطين المترسب حديثاً من السيول.

تحضير العجينة. هناك عدة طرق لتحضير العجينة الطينية اللازمة لصناعة الفخار التقليدي بالمملكة. وتختلف هذه الطرق من منطقة إلى أخرى تبعاً لاختلاف خصائص المادة الطينية المتوافرة في كل منطقة، واختلاف نوع الأواني المصنعة وحجمها.

ففي المدينة المنورة ومكة المكرمة، تستخدم طريقة تُعد أكثر تقدماً من طرق باقي مناطق المملكة، إذ تخلط كميات كبيرة من الطين تكفي لعمل عدة أيام، ولإنتاج أعداد كبيرة من الأواني. ويتم ذلك في بركتين معدتين لهذا الغرض، إحداهما صغيرة مربعة الشكل، مبنية من الحجر في مكان مرتفع ومليصة بالجير، أبعادها ٢م × ٢م، بارتفاع ٦٠سم. والبركة الثانية أكبر حجماً، وهي مبنية بجوار البركة الأولى في مكان منخفض، وأبعادها ٤م × ٥,٤م. بارتفاع ١,٥م. ويصل بين البركتين مجرى، ينطلق من فتحة في أرضية البركة الأولى، ليصب في البركة الثانية. ويوجد بهذا المجرى حوض صغير وهو مصفاة تترسب فيه الأحجار والأخشاب والشوائب المختلطة مع الطين، وهو محمول على ثلاثة أزيار.

وتمر عملية تحضير العجينة الطينية في هذه التجهيزات بثلاث مراحل، هي:

- مرحلة خلط الطين بالماء، وتستخدم فيها البركة الصغيرة.
- مرحلة التصفية والتنقية من الشوائب، ويستخدم فيها المجرى والمصفى المركب عليه.
- مرحلة تبخير الماء والحصول على عجينة الطين الصالحة لصناعة الفخار، وتتم هذه المرحلة في البركة الكبيرة.

أما خطوات العمل في تحضير العجينة الطينية فتسير على النحو التالي:

يجلب الطين المنتقى المراد خلطه، ويكوم بالقرب من البركة الصغيرة، ثم يسكب مقدار أربعين تنكة من الماء في البركة بعد سد فتحتها، بعد ذلك يضاف إلى الماء كمية مناسبة ومقدرة من الطين (ربع قلاب). ثم ينزل أحد الصبيان إلى البركة لخلط الطين بالماء وتفتيت الكتل الطينية المتكونة. فيحرك الخليط بيديه ورجليه إلى أن يصبح روبة طينية سائلة. ويلاحظ أن عمق بركة الخلط لا يزيد عن ارتفاع ركبة الرجل متوسط الطول،

حتى تصبح عملية خلط هذه الكمية الكبيرة من الطين ممكنة في البركة.

وبعد ذلك ترفع سدادة بركة الخلط ليجري ما بها من محلول طيني عبر المجرى المنحدر إلى البركة الكبيرة المعدة للتجميع والتبخير. ويمر المحلول في طريقه على المصفى الذي يخلصه من الشوائب والكتل والأحجار الصغيرة التي توجد به. ويلاحظ أن فرق الارتفاع بين البركتين يساعد على اندفاع المحلول الطيني عبر المجرى بسهولة ويسر.

بعد ذلك يستقر محلول الطين النظيف الصافي في بركة التجميع، ثم تكرر عمليتا الخلط والتصفية عدة مرات إلى أن تمتلئ البركة الكبيرة. وبعد امتلائها يترك المحلول فيها خمسة أيام ليتبخر منه الماء، ويتحول إلى طينة لزجة متماسكة صالحة لصناعة الفخار، ويساعد قصر جدار البركة الكبيرة (٥٠سم) على سرعة تبخر الماء من الطين حتى الطين الملاصق لقاع البركة.

وفي المنطقة الشرقية تستخدم طريقة أبسط من السابقة في تحضير عجينة الفخار. فبعد أن يجلب الطين، يُكوم في مكان العمل، ويترك معرضاً للشمس حتى تجف رطوبته، ثم يدق حتى ينعم، وبعد ذلك ينقع في الماء في حوض صغير أبعاده ١م × ١م × ١م. وتستمر خطوات التحضير بعد ذلك على النحو التالي:

تُصب أربعة سطول من الماء فوق أربعة سطول من الطين، وتترك نصف ساعة ثم تضاف إليها أربعة سطول أخرى من الطين وكمية قليلة من الماء، وتكرر العملية حتى يمتلئ الحوض، بعد ذلك يؤخذ الطين المتشرب بالماء من الحوض، وينشر بعض الوقت حتى يجف قليلاً، وتقل نسبة الماء فيه، ثم يعجن بالقدمين ويداس نحو ثلاثين طبة أي دعسة، وتضاف إليه أثناء ذلك كمية مقدرة ومحسوبة من الرمل الأبيض الناعم، تعجن عجناً جيداً مع الطين حتى تتحد مع أجزائه، وبعد ذلك تكون عجينة الطين صالحة للاستخدام.

وفي محافظة القنفذة، يعجن الطين بالطريقة المستخدمة في المنطقة الشرقية، سوى أن عملية العجن تتم دون استخدام حوض مبني، إذ يوضع مقدار زنبيلين من الطين (اللُك) أي الكتل على كيس من الخيش أو فوق مكان نظيف من الأرض، ويضاف إليها زنبيل من الرمل الناعم، ويحافظ على نسبة ٢ إلى ١ إذا رُغب في زيادة الكمية المعجونة، وبعد أن يُقَلَّب الرمل مع الطين يرش بالماء رشاً جيداً حتى يتشرب، ثم يترك ساعة، أو

يترك من الليل إلى الصباح إن كان الفخراني يجهز الكمية المعجونة لعمل الغد، وبعد ذلك يعجن الطين المتشرب بالماء باليد إذا كانت الكمية قليلة، أو بالقدم إن كانت الكمية كبيرة، وفي كلا الحالين تخدم العجينة خدمة جيدة حتى يمتزج الطين مع الرمل.

وفي منطقة جازان، تستخدم الطريقة السابقة نفسها، إلا أن الطين يعجن منفرداً من دون إضافة رمل إليه، وتتم عملية العجن باليد أو القدم. وتعجن في الغالب كمية كبيرة تكفي لمدة أسبوع.

ويحرص الفخارون في جميع مناطق المملكة على متابعة عملية عجن الطينة المعدة لصناعة الفخار مدة كافية تسمح بتداخل مكوناتها مع المواد المضافة إليها، إلى أن تصبح العجينة سهلة الاستخدام، ولا تتشقق الأواني المصنوعة منها بعد تجفيفها في الشمس.

وبعد الفراغ من عجن الطين يبدأ صانع الفخار بتقطيعه إلى كتل صغيرة تكفي لصناعة إناءين أو ثلاثة، ثم ترص هذه الكتل بعضها فوق بعض على حصيرة، وتغطى بكيس حتى لا تتعرض للهواء فتجف وتفسد. وتختلف أسماء هذه الكتلة من مكان إلى آخر، فهي في المنطقة الشرقية تسمى لوخة، وتسمى عركة في كل من المدينة المنورة ومكة المكرمة. وإن كانت كمية الطين المعجونة كبيرة، يُكتفى بتجهيز الكتل اللازمة لعمل يوم واحد، ويترك الباقي في معجنه، ويقوم بهذه المهمة أحد الصبيان في نهاية عمل كل يوم.

تشكيل الأواني الفخارية

بعد تجهيز الطين وتقطيعه إلى كتل، يأخذ الصانع كتلة ويبدأ في تشكيل الإناء الذي يريده. وفي المملكة العربية السعودية ثلاث طرق لتشكيل الأواني الفخارية التقليدية، وهي:

التشكيل بالعجلة. وهي أفضل الطرق الثلاث وأسرعها عملاً وأجودها أداءً وأكثرها إنتاجاً. وتستخدم طريقة التشكيل بالعجلة (الدولاب) في معظم المراكز الرئيسية لصناعة الفخار بالمملكة، وهي الطريقة الوحيدة المستخدمة في صناعة الفخار في كل من المنطقة الشرقية، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة. وتستخدم إلى جانبها طُرقٌ أخرى في بعض المناطق، ففي منطقة جازان ومحافظة القنفذة، يستخدم الدولاب فقط في صناعة الأواني الصغيرة التي تطلى بالطلاء الزجاجي بعد تشكيلها، كالفناجين والمباخر والمسارج والحيسيات الصغيرة.

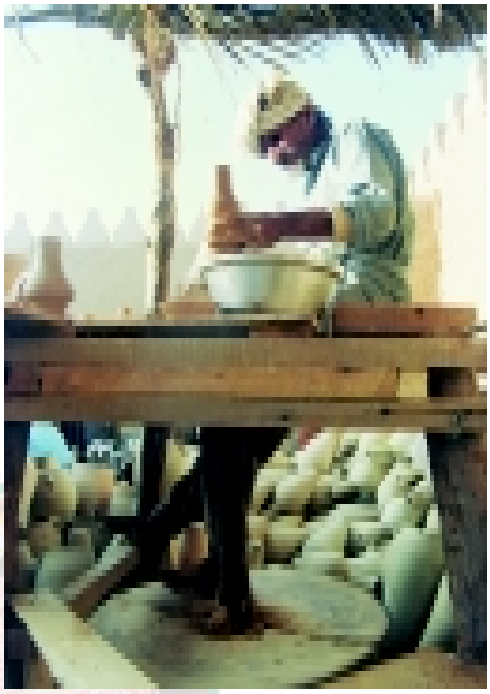

تشكيل الأواني الفخارية على العجلة (الدولاب). (المدينة المنورة)

تشكيل الإناء على العجلة (جبل قارة، الأحساء)

وتشكيل الإناء على الدولاب يكون حسب الخطوات التالية:

- تُؤخذ الكتلة من الطين وتوضع على رأس الدولاب، وعادة تكفي الكتلة لصناعة أكثر من إناء.
- يُحَرَّك الدولاب بالقدم، ويُضغط باليد على كتلة الطين في الوقت نفسه لفرز جزء منها، والحصول على ميزانية القطعة المراد صنعها ومقدار ما تحتاج إليه من طين يناسب حجمها.
- تُكَرَّر عملية الضغط على كتلة الطين بعد فرزها مع استمرار دوران الدولاب، وتُشكّل خلال ذلك قاعدة الإناء المراد صنعه.
- بعد ذلك يمط الصانع كتلة الطين باليدين إلى أعلى مع الاستمرار في إدارة الدولاب بسرعة ليرتفع بدن الإناء.
- ثم يبدأ بتفصيل بدن الإناء وتجويفه من الداخل باستخدام أصابع اليد، وتشكيل الشكل الخارجي للبدن بالضغط بالأصابع صعوداً وهبوطاً مع استخدام الصادف.
- بعد ذلك يُشكل الصانع رأس الإناء أو رقبته إن كانت له رقبة، وتكون هذه

العمـلية أيضاً بـالضغط أو المط مـع استـمرار دوران الدولاب. وعـقب الفراغ من هذه الخطوة تنتـهي عملية التشكيل.

- وبعد ذلـك يبدأ الصانـع في زخرفة الإناء المشكل بالحز أو الوخز أو القطع أو غير ذلك من أساليب زخرفة الفخار غير المزجج.
- وبعد اكتمال الزخرفة يفصـل الصانع الإناء عن بـاقي كتلـة الطين بخـيط يوضع حول المستوى السفلي لقاعدته، وبـدوران الدولاب مـع شد الحـبل تكتمل عملية الفصل.
- وبعد ذلك يرفع الإناء من الدولاب، وينقل إلى مكان التجفيف.
- ثم يتولى الصانع تسوية مـا تبقى من كتلة الطين على قرص الدولاب تمهيداً للشروع في تشكيل إناء آخر.

وخلال عـملية الـتشكـيل يغمـس الصانع، متى دعت الضرورة إلى ذلك، يده في الماء لتطرية العجينة وتسهيل عملية الـتشـكـيـل وجعـل الجدار الـداخلـي والخارجي للإناء أملس.

والخطوات الـسابقة مـتبعة حـسب ترتيبها الذي أوردناه عـند صناع الفخار في الأحساء ومكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة.

وينفرد صناع الفخار في منطقة جازان بمخالفة واحدة لهذا الترتيب، هي أنهم لا يبدؤون صناعة أوانيهم بتشكيل القاعدة، وإنما يـؤخرونها إلـى النهايـة، فيبـدؤون بتشكيـل بدن الإناء وفوهته ثم يجفـفونه تجفيفاً أولياً لمدة ساعة، يقلب بعدها على قرص الدولاب وتشكل قاعدته سواء كانت مستوية أم مسطحة أم مدورة.

التشكيل على القـرص المقعر. تنتشر هذه الطريقة في قرى القنفذة دون غيرها. وفيها يُصنع الفخار على قرص مستدير مقعر، مصنوع من الطين المحروق يسمى المصنع، يدار بحركة الـيد على مستوى قعره فوق طينة مفروشة بالرماد لتسهيل تحريكه. ويستطيع الصانع أن يصنع جميع أنواع الأواني بهذه الطريقة، كما يستطيع العمل على ثلاثة أقراص أو أكثر بالتناوب لصنع عدد من الأواني في الوقت نفسه حسب مهارته وسرعته في العمل. وهذه الطريـقة تعد أقـل تطوراً من الـطريقة السابقة، إذ إنها تفتقر إلى الدوران السريع الذي يدوره الدولاب فيساعد على سرعة تشكيل الإناء، وإتقان صنعه.

وتمر عمـلية تشـكيل الإناء عـلى القرص بخمس مـراحل هي: البدعة ثم الأطواف ثم الترقيب ثم الخرط ثم الملوس. وإن كان الإناء من نوع البدن

تشكيل الأواني الفخارية على القرص المقعّر (محافظة القنفذة)

الكـروي المنفـوخ كالـشربة والجـرة، أضيفت مرحلة سادسة تسمى التكبيب، وذلك قبل عملية الترقيب. وفيما يلي ذكر لخطوات العمل في كل مرحلة من هذه المراحل:

البدعة: أولى هذه المراحل وتتم وفق الخطوات التالية:

- يختار الصانع قرصاً مناسباً لحجم الإناء المراد صنعـه من مجموعة الأقراص (المصانع) المتوفرة لديه.
- يأخذ وصلة من الطين ويحولها بالفرك بين يديـه إلى مجمـوعة من الحبـال الطينية.
- تطوى هذه الحـبال على القرص فـي شكل حلزوني، ويضغط عليها بيده، مع تدوير القرص ليشكل قاعدة للإناء المراد صنعه.
- تلف على هـذه القاعدة حبال طينيـة أخرى، ويدمجها معها بالضغط باليد مع تدوير القرص إلى أن يتم تشكيل الجزء السفلي من بدن الإناء.
- يكرر الصانع هذه العملية إلى أن ينتهي من تشكـيل ثلث ارتفاع الـبدن، إن كان الإناء كبيـراً، أو نصف ارتفاعه إن كان الإناء صغيراً.
- يُمَلس الصانع ما تم تشكيله من الإناء من الداخل والخارج باستخدام المغرف والعـود إلى أن يصبـح جسم الإناء أملسَ مستويـاً باطناً وظاهراً، وبهذا تنتهي مرحلة البدعة.

- يترك الإناء ليجف قليلاً (يَقُبّ) وخلال عملية التجفيف يشرع الصانع بصنع بدعة أخرى على قرص آخر.

الأطواف: بعد أن يجف الإناء بعض الوقت وتقوى بدعته، يقوم الصانع بإضافة أطواف أخرى إلى بدنه، تصل إلى خمسة أطواف أو ستة في بعض الأواني الكبيرة. ويزيد قطر الطوف أو ينقص حسب ارتفاع شكل الإناء المراد صنعه. وخلال عملية التطويف يستمر الصانع في تمليس الإناء بالمغرف والعود من الداخل والخارج. ويستمر بناء الأطواف إلى أن يتم تشكيل الإناء. وإن كان الإناء كبيراً كالزير والجرة والجفرة الكبيرة (القدر الكبيرة)، ضرب الصانع أطوافها من الخارج بعد تمام بنائها كي ترتفع إلى أعلى، ويتماسك طينها ويقوى بناؤها. وتكون عملية الضرب بأداة مستوية من الخشب تسمى المضراب. ويسند مكان الضرب من الداخل بكتلة مستديرة من الطين المحروق تملأ قبضة اليد تسمى الكبانة، ولا تحتاج الأواني القصيرة إلى الضرب بالكبانة والمضراب، وإنما يكتفى بتمليسها من الداخل والخارج.

التكبيب: إن كان بدن الإناء كرويّ الشكل أو بيضيّ مثل أبدان الأباريق، والجرار، والجبان (الشراب)، والشواطر (الجرار الصغيرة)، يقوم الصانع بتكبيبه أي سده بالطين سداً كاملاً بحيث يأخذ الإناء شكل الكرة أو البيضة. ثم يثقبه من أعلى باستخدام المنقار، وهو عود من خشب البوص أو القصب. وبعد ذلك يرفع الإناء ليجف بعض الوقت.

الترقيب: تأتي هذه المرحلة بعد اكتمال أطواف البدن إن كان الإناء ذا فوهة مفتوحة، كالزير والتنور والمحلب، أو بعد مرحلة التكبيب، إن كان بدن الإناء كروي الشكل أو بيضياً كما ذكرنا سابقاً. وفي مرحلة الترقيب يُشكل الصانع رقبة الإناء طويلة كانت أم قصيرة، وكذلك شِفَّته.

الخرط: بعد تركيب رقبة الإناء، يقوم الصانع بالتسوية النهائية لشكل الإناء وتحسين استدارته، وذلك بحكه بطوق من حديد معقوف من طرفه يسمى المخرط، بينما يكون الإناء في حالة دوران على المصنع (القرص المقعر).

الملوس: بعد عملية الخرط وتسوية الاستدارة، يتولى الصانع تمليس الإناء من الخارج بمادة الطحل، وهو الحجر الصابوني المطحون طحناً ناعماً مثل الرماد، كي يكتسب الجدار الخارجي للإناء قوة بعد حرقه، وتقل نسبة الترشيح فيه لما يوضع بداخله من سوائل.

وبعد عملية الملوس يكون الصانع قد فرغ من تشكيل الإناء، وتبقى عليه زخرفته إن كان يريد ذلك.

التشكيل على قعر الجرة. وهي طريقة من طرق تشكيل الفخار باليد، وتستخدم في جميع مراكز صناعة الفخار غير المزجج في منطقة جازان، وتصنع بها الأواني المعدة للطبخ وحفظ المياه فقط. وفي هذه الطريقة يكون العمل على جرة بيضية الشكل بعد إزالة رقبتها. وتشكيل الإناء على قعر الجرة يكون باتباع الخطوات التالية:

- عند بداية العمل توضع الجرة على وجهها في حفرة بالأرض قليلة العمق، بحيث يكون قعرها إلى أعلى.
- يبدأ الصانع بتشكيل قاعدة الإناء على قعر الجرة، وتسمى هذه الخطوة بدعة الإناء، وهي تقتصر على تشكيل القاعدة فقط.
- يقلب الصانع الجرة، فيجعل فوهتها إلى أعلى وقعرها في الحفرة بعد أن ينزل منها القاعدة المشكلة عليها.
- يضع المقياس على فوهة الجرة، وهو قرص من الطين.
- يضع القاعدة التي شُكلت على المقياس، ويكمل تشكيل البدن بطريقة الأطواف، مع مداومة التمليس من الداخل والخارج.
- ثم يُشكل الرقبة والشفة إن كان الإناء ذا فوهة مفتوحة.

تشكيل الأواني الفخارية على قعر الجرة (منطقة جازان)

- بعد ذلك يضرب جدار الإناء بالمضراب والحجر حتى يعلو ويتماسك وتحسن استدارته، وإن كان الإناء ذا فوهة ضيقة أو رقبة طويلة كالشربة والإبريق، يضرب الصانع بدنه قبل صنع رقبته.

وفي جميع مراحل التشكيل يكون الإناء ثابتاً على الجرة بينما يدور عليه الصانع. وتشبه هذه الطريقة طريقة التشكيل على القرص المستخدمة في محافظة القنفذة في كثير من الوجوه، وتختلف عنها في أنّ الصانع في محافظة القنفذة يبقى جالساً في مكانه ويدور الإناء على القرص المقعر، وأما هنا فهو يفعل عكس ذلك. كما أن صناع الفخار في منطقة جازان لا يستخدمون الطحل (الحجر الصابوني المطحون) في تمليس الإناء من الخارج. وقد لوحظ أن الأواني المصنوعة بطريقة التشكيل على الجرة في منطقة جازان تأخذ بعد اكتمال تشكيلها مستوى من الدقة والإتقان وحسن التنفيذ تفوق به مثيلاتها المنفذة على قرص متحرك في محافظة القنفذة، وتضاهي الأواني المصنوعة على الدولاب في سائر مناطق المملكة إلى حد يدعو إلى الدهشة للوهلة الأولى، وذلك على الرغم من أن هذه الطريقة تعد بدائية مقارنة بالطرق الأخرى. ويعود الفضل في ذلك إلى مهارة الصُنَّاع وتمكنهم من مهنتهم.

زخرفة الفخار

بعد الفراغ من تشكيل الإناء يبدأ الصانع بزخرفته، ويستخدم في ذلك طرقاً متعددة، أهمها: الزخرفة بالحز، وبالوخز، وبالإضافة، وبالضغط.

أما الزخرفة بالرسم، فتشمل الرسم بالمغرا، وبالنقش الأسود، وبالنيلة والباردة. وأما العناصر الزخرفية التي ينفذها الصانع فتنحصر في الزخارف الهندسية والنباتية، بالإضافة إلى موضوعات مرسومة من الطبيعة. وتكاد لا ترسم الأشكال الآدمية والحيوانية ورسوم الطيور. كما أن الزخارف الكتابية تقل بدرجة كبيرة جداً. وتقتصر الزخرفة عادة على الجدار الخارجي للإناء، وعلى الجزء العلوي من البدن دون السفلي، وعلى الرقبة والمقابض.

ويُستخدم عود مدبب أو مِخْيَط أو إبرة أو حديدة الصادف لعمل الحز المفرد، أما المشط فيستخدم لإحداث حزمة من الحزوز، بينما تستخدم المكرة لعمل الحزوز الطولية والخطوط المتقاطعة.

وتنفذ بعض الزخارف المحزوزة بيد متحركة من دون إدارة الدولاب أو

القرص، مثل الدوائر والأشكال الحلزونية واللولبية، والخطوط المتقاطعة التي تتكون منها أشكال هندسية. وقد يجمع الصانع بين أكثر من نمط من أنماط هذه الحزوز في زخرفة إناء واحد. وفي القديم كان الصانع يرسم بالحز عناصر هندسية متقابلة أو متشابكة أو على شكل مربعات أو مثلثات أو متوازي أضلاع، يملأها بالخطوط الصغيرة. أو يرسم عناصر نباتية من الوريدات والأوراق النباتية، يكررها على الإناء كله، وأحياناً يجمع بين العناصر النباتية والهندسية. وقد قلت مثل هذه الموضوعات المنفذة بالحز على الفخار التقليدي الذي يصنع في الوقت الحاضر.

ولا تحمل الزخارف المنفذة أي معانٍ رمزية أو دلالات عقائدية، أو إشارة إلى المِلْكية، أو المنطقة أو القبيلة وما إلى ذلك، وإنما تنفذ الزخارف بهدف التزيين والتجميل فقط على اعتبار أنها زخارف مجردة. كما أن الصانع لا يهتم بتوقيع ما يصنع، أو عمل إشارة تميز منتوجاته ومصنعه.

ويلاحظ أن دقة تنفيذ الزخارف تختلف من منطقة إلى أخرى. كما يلاحظ أن الاهتمام بتنفيذ الزخارف أخذ يقل في الآونة الأخيرة عما كان عليه سابقاً، بحيث أصبحت الزخارف المنفذة بسيطة ولا تشكل موضوعات زخرفية.

الزخرفة بالحز. تتم هذه الزخرفة على الدولاب أو على القرص، قبل رفع الإناء. ويستخدم فيها عود مدبب، أو إبرة صغيرة، أو مخيط، أو حديدة الصادف، أو مشط، أو مكرة خيط، أو عجلة مضرسة. وتنفذ أثناء دوران الدولاب بيد ثابتة للحزوز المستقيمة، أو متحركة صعوداً وهبوطاً للحزوز المتموجة والمتعرجة.

وتُعد الزخرفة المحزوزة أكثر أنواع الزخارف استخداماً في الوقت الحاضر عند صناع الفخار التقليدي بالمملكة. وهي تُجرى على النحو التالي:

في منطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة تنفذ الزخارف المحزوزة بكثافة على ثلاثة أنواع من الأواني المصنوعة، وهي: الزير المرفع، والزير المدني، والشربة المضلعة، ويكتفى في باقي الأواني من الشراب والدوارق بحزوز قليلة العمق تدور على رقبة الإناء وقرب شفته.

ويكون شكل الزخارف التي تنفذ على الزير المرفع على هيئة حزّين متوازيين يدوران حول بدن الزير تحت مستوى العروتين، وينحصر بينهما صفان متوازيان أو ثلاثة من الخطوط الصغيرة.

أما الشراب المضلعة فتزخرف بثلاث أو أربع حزم متوازية من الخطوط المتقاطعة، تدور على الجزء الأعلى من البدن وتكون موزعة على مسافات متساوية.

وأما الأزيار الكبيرة فتقتصر الزخرفة المحزوزة فيها على الجزء العلوي من البدن وعلى رقبة الزير، وتتشكل من خطوط محزوزة، وخطوط متموجة تتكرر بشكل متوازٍ.

وفي فخار محافظة القنفذة الذي يصنع في الوقت الحاضر، تقتصر الزخارف المحزوزة على عدد من الخطوط المتموجة تدور على الجزء العلوي من بدن الإناء، يليها حدٌ أو إطارٌ بارز من الطين عليه زخرفة منفذة بالضغط بالإصبع أو بالعود، وتنفذ هذه الزخرفة بوجه خاص على المحلب والجفرة والجرة.

وفي فخار منطقة جازان تكثر الزخارف المحزوزة على الفناجين والمباخر والأواني المصنوعة من الفخار المطلي بطلاء الرصاص. وهي في بعض أشكالها خطوط متكررة، محصورة بين خطين دائريين، منفذة بأداة مدببة أو بالعجلة المسننة. أما الفخار غير المزجج، فيقل استخدام الحزوز في زخرفته وتكاد تنحصر في خطين أو ثلاثة تدور على الأجزاء العليا من أبدان الأواني أو على رقاب الجرار.

الزخرفة بالوخز. وتنفذ بأداة مدببة كالعود أو الإبرة أو بالمشط، بيد متحركة، مع استخدام الدولاب أو القرص أو حتى من دون استخدامه، لتحدث نقطاً غائرة في جسم الإناء. واستخدامها قليل جداً في الوقت الحاضر، ونجد نماذج منها في بعض الأواني المصنوعة بمناطق جازان والشرقية والمدينة المنورة ومحافظة القنفذة حيث تُنَظَّم في شكل مجموعات متوالية، كما في زخرفة شفاه المركب في منطقة

جفرة (قدر طبخ) عليها زخارف متموجة منفذة بالحز (محافظة القنفذة)

شربة (قلة) عليها زخارف منفذة بالوخز (المدينة المنورة)

جازان، أو مجموعة متوالية من النقط الغائرة تحدد بداية رقبة الجرة والإبريق في الفخار المصنوع بمحافظة القنفذة. كما تستخدم الزخرفة بالوخز كثيراً في الفخار المصنوع بالمنطقة الشرقية جنباً إلى جنب مع الزخرفة المنفذة بالحز، خاصة على المصاحن.

الزخرفة بالإضافة. وتتم بعمل حبل من الطين يلتف حول رقبة الإناء، أو حول الجزء العلوي من البدن. وتوجد هذه الزخرفة على بعض الأواني المصنوعة بمنطقة القنفذة، مثل المصب والجفرة والجرة والإبريق. كما تستخدم بكثرة على القلة التي تسمى الرجبيَّة وتصنع في منطقة جازان.

الزخرفة بالضغط. تستخدم في الوقت الحاضر كأسلوب مكمل للزخرفة المضافة. فالصانع يزخرف حبل الطين المضاف على بدن الإناء أو رقبته بالضغط عليه بالإصبع أو بالعود أو بالقصبة، بشكل متتابع.

الرسم بالمغرا. ويسمى النقش، والمغرا حجر أحمر يحرق ثم يطحن، ثم يسكب عليه مقدار محدد من الماء ثم يضاف إليه غراء السلم أو السمر. ويرسم بمادة المغرا على الأواني بعد أن يكتمل تجفيفها قبل حرقها. ويشيع استخدام مادة المغرا في الزخرفة في محافظة القنفذة ومنطقة جازان، خاصة على المجامر، والجبنة (الشربة) وهي

جبنة (إبريق) عليها زخارف مرسومة بالمغرة (محافظة القنفذة)

مبخرة من الفخار عليها زخارف منفذة بالنقش الأسود (منطقة جازان)

الإناء الذي تصنع فيه القهوة، حيث تزخرف رقبة هذا الإناء ومقبضاه والجزء العلوي من بدنه بخطوط مرسومة بالمغرا في أشكال طولية ودائرية ومتقاطعة، لتكتسب اللون البني الداكن بعد حرق الإناء.

واستخدام مادة المغرا في زخرفة الفخار، أسلوب قديم جداً عرفه الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمر طوال العصور التاريخية. كما استخدم أيضاً في الفخار الإسلامي المبكر، خاصة الفخار الأموي.

الرسم بالنقش الأسود. وهو حجر أسود يسمى (بعر) لأنه بحجم (البعرة). يُجمع ويدق ويضاف إليه الماء ثم يرسم به على المباخر التي تصنع في مناطق القنفذة وجازان ونجران وعسير. وتنفذ بهذا النقش زخارف هندسية لها أشكال دوائر متكررة ومثلثات مملوءة بالخطوط المتقاطعة. كما ترسم به خطوط طولية ومتوازية ومتقاطعة تكوّن موضوعات زخرفية جميلة، وقد تضاف إليها عناصر بألوان أخرى.

الرسم بالنيلة. النيلة مادة تستخدم في إكساب الملابس البيضاء بعض الزرقة عند غسلها، ويستخدمها الفخارون كمحلول مركز يرسم به على المباخر والنماذج الصغيرة من الأدوات التي تصنع للأطفال في مناطق جازان ونجران وعسير ومحافظة القنفذة.

ويرسم بالنيلة بعد حرق الإناء وطلائه بالنورة، أي أنها تستخدم على خلفية بيضاء. والعناصر التي تُرسم بالنيلة قوامها في الغالب مثلثات مملوءة بالخطوط المتقاطعة، أو وريدات وفروع نباتية. وتصاحب العناصر المرسومة بالنيلة عناصر مرسومة بالبوية أو بالنقش الأسود أو بالباردة.

دورقان من الفخار عليهما زخارف منفذة بمادتي النيلة الزرقاء والباردة الحمراء

مجامر من الفخار، مزخرفة بالألوان الزيتية (جنوب وجنوب غربي المملكة)

الرسم بالباردة. الباردة صبغ أحمر غير زيتي يشترى جاهزاً ويستخدمه صناع الفخار في مناطق جازان ونجران ومحافظة القنفذة في زخرفة المباخر بشكل خاص. ويُرسم بالباردة بعد حرق الإناء وطلائه بالنورة.

الرسم بالبوية الزيتية. شاع استخدام البوية الزيتية مؤخراً في زخرفة المباخر في مناطق جازان ونجران وعسير ومحافظة القنفذة، إذ يستخدم صناع الفخار ألوان البوية الزيتية، خاصة الأصفر والأحمر والأزرق، في زخرفة المباخر والمزهريات على وجه الخصوص. وترسم عناصر الزخرفة على طبقة بيضاء من النورة تغطي الإناء من الداخل والخارج، قوامها مثلثات متكررة وخطوط متقاطعة.

التغطية بالطلاء الزجاجي. تبدأ عملية التزجيج بعد الانتهاء من تجفيف الأواني

المواد المكونة للطلاء الزجاجي: الكبريت الأصفر، مسحوق المرو، الكحل الأسود

المصنوعة، وهي تمر بثلاث خطوات وفقاً للترتيب الآتي:

الخطوة الأولى تحضير مركب الطلاء الزجاجي من مواد الرصاص وحجر المرو وكبريت الخفان والكحل الأسود.

ولتحضير هذا المركب يذيب الصانع الرصاص في إناء يوضع على النار، ويستخدم بعض الصناع رصاص بطاريات السيارات التالفة. وبعد ذوبان الرصاص يضاف إليه كيلوجرام من مسحوق حجر المرو الأبيض الذي يكون معداً وجاهزاً سلفاً. ثم يضاف إلى هذه الخلطة كيلوجرام آخر من مسحوق الخفان وهو الكبريت الأصفر. وتحرك الخلطة بسرعة حتى يتداخل الرصاص مع مسحوقي المرو والكبريت ويصير المزيج مسحوقاً أسود اللون. ثم ترفع الخلطة عن النار وتضاف إليها نسبة معينة من مسحوق كحل الحجر الأسود. بعد ذلك يطحن الصانع المركب على رحى حجرية حتى يصبح شديد النعومة. ويكون مركب الطلاء الزجاجي جاهزاً للاستخدام. وعادة يُعد الصانع كمية كبيرة من الطلاء، ويحتفظ بها لديه.

وأما الخطوة الثانية فهي طلي الأواني، إذ يضع الصانع مركب الطلاء داخل حيسية كبيرة وهو إناء يشبه الزِّبديّة، ويضيف إليه نسبة محددة من دقيق الحنطة الناعم. ثم يحرك كل ذلك بيده حتى يختلط الدقيق مع مركب الطلاء، ثم يصب في الحيسية ثلاثة لترات من الماء

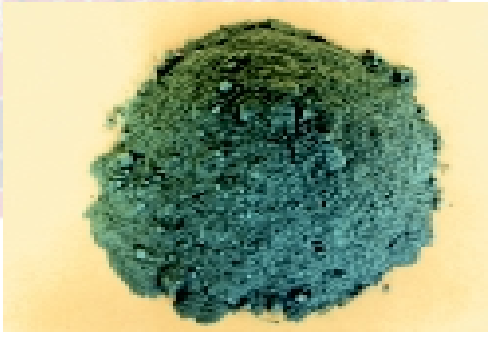

مسحوق الطلاء الزجاجي المعد للاستخدام

طلاء الأواني بمادة التزجيج

تجفيف الأواني بعد طلائها تمهيداً لحرقها

ويُخفق ما بداخلها إلى أن تصبح تركيبة الطلاء محلولاً سائلاً.

ثم تُدهن الأواني المراد طلاؤها بهذا المحلول بدءاً بداخل الإناء ثم خارجه، أو يغطس الإناء في الحيسية إن كان الإناء صغيراً.

الخطوة الثالثة تجفف الأواني بعد إكمال عملية الطلاء بحيث تترك الأواني المطلية لتجف مدة ساعة أو ساعتين تبعاً لحالة الطقس، بعدها تصبح جاهزة للحرق.

وعند الحرق تُرص الأواني المطلية داخل الفرن على شكل طبقات بحيث تكون الأواني واقفة على قواعدها في الطابق الأول، ومقلوبة على وجوهها في الطبقات العليا، حتى يُؤمَن عدم التصاق بعضها ببعض. وبعد إتمام عملية الحرق تكتسب الأواني لوناً بنياً أو أخضر قاتماً أو عسلياً تبعاً لاختلاف كمية الكحل الأسود المضافة إلى تركيبة الطلاء.

والطلاء الزجاجي المستخدم في الفخار التقليدي بالمملكة هو من نوع طلاء الرصاص، وقد عرف الإنسان استخدامه منذ العصور القديمة ووجد على أوانٍ يعود تاريخ صنعها إلى القرن الأول الميلادي. كما استمرت صناعته خلال العصر الروماني والعصر البيزنطي، وازدهرت كثيراً خلال العصر الإسلامي. وطلاء الرصاص يعد أيسر أنواع الطلاء الزجاجي المستخدم على الفخار في العصور القديمة من حيث سهولة التحضير والاستخدام.

تجفيف الفخار

تمر بعض الأواني بمراحل تجفيف أولية أثناء تشكيلها، خاصة تلك التي تصنع باليد. وتكون عملية التجفيف الأولى لازمة لإكساب الإناء بعض القوة الضرورية، وهي تتم في الظل ولا تستغرق وقتاً طويلاً.

أما التجفيف النهائي بعد اكتمال تشكيل الأواني، فهو مرحلة حساسة تمر بها صناعة الأواني الفخارية، وعليه يتوقف نجاح عملية التصنيع بكاملها. فالخطأ الذي يحدث في عملية التجفيف يؤدي إلى استبعاد عدد من الأواني المشكلة، لذلك يحرص الصانع دائماً على تفادي هذا أو تقليله قدر الإمكان. مع

أن العدد القليل من الأواني التالفة يمكن إعادة صناعته أو الاستفادة من طينته.

وتخضع عملية التجفيف النهائي لحالة الطقس، وتستغرق عادة مدة تتراوح بين يومين وخمسة أيام في فصل الصيف. أما في فصل الشتاء البارد فتستمر من عشرة إلى خمسة عشر يوماً في بعض المناطق، وقد تزيد عن ذلك إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم بشكل مستمر. وفي جميع الفصول يوضع الفخار في الظل أولاً حتى يجف وتقل الرطوبة في طينته، ثم يُنقل إذا يبس إلى مكان مشمس. ويحرص الصانع على عدم تعرض أوانيه إلى تيارات الهواء القوية حتى لا تتشقق، وقد يغطيها بالخيش إذا زادت قوة الريح. ولا تؤثر طول فترة التجفيف على عملية الإنتاج لأن الصانع دائماً يُعد عدداً كبيراً من الأواني تكفي لملء فرنه قبل أن يبدأ عملية الحرق، وهي الخطوة التي تلي التجفيف بالنسبة للأواني الفخارية غير المزججة.

حرق الفخار

تتعدد أساليب حرق الفخار، وتختلف الأفران المستخدمة في هذا المجال في المملكة من منطقة إلى أخرى.

ففي مكة المكرمة والمدينة المنورة هناك ثلاثة أحجام من الأفران، يُستخدم كل واحد منها لحرق نوع معين من الأواني الفخارية. فهناك أفران صغيرة قطرها متر واحد فقط مخصصة لحرق رؤوس الشِّيَش، وهناك أفران متوسطة الحجم قطرها ثلاثة أمتار وارتفاعها ثلاثة أمتار تُحْرَق فيها القلل والدوارق والجرار الصغيرة، وهي أكثر الأفران استخداماً، كما توجد أفران كبيرة الحجم، لحرق الأزيار الكبيرة خاصة، قطرها أكثر من أربعة أمتار، وارتفاعها مثل قطرها، بحيث تتسع لحوالي ثمانين زيراً.

وتسمى الأفران في مكة المكرمة والمدينة المنورة الكوشة، وهي أسطوانية الشكل قطرها مماثل لارتفاعها، وتتكون من جزأين: جزء سفلي يسمى طابونة الفرن، وهو المكان الذي تشعل فيه النار. وهذا الجزء ينخفض جداره قليلاً تحت مستوى الأرض، وله باب يستخدم لإدخال الوقود، أما سقفه فعلى شكل قبة ضحلة، بها ثماني أو تسع فتحات، واحدة في الوسط والأخريات موزعات على الأطراف لتسمح بوصول النار من الطابونة إلى الجزء العلوي للفرن. وأما الجزء العلوي فأسطواني الشكل، يبلغ ارتفاعه ثلثي الارتفاع الكلي للفرن،

نموذج لفرن حرق الفخار «الكوشة» (المدينة المنورة)

وترص الأواني المصنوعة بداخله مقلوبة. وبعد امتلاء الفرن تُرصّ فوق الأواني الفخارية كِسرٌ من الفخار ثم توضع عليها ألواح من الصفيح لتمنع تسرب اللهب خارج الفرن.

وفي المدينة المنورة يُسخن الفاخوري في بداية عملية الحرق الكوشة مدة ثلاث ساعات بنار هادئة يزودها بقليل من القش والحطب. ثم بعد ذلك يزيد من قوة نارها، إذ إن الطينة التي تصنع منها الأواني في المدينة المنورة لا تتحمل النار القوية دفعة واحدة. وعلى العكس من ذلك، لا يحتاج الفخراني في مكة المكرمة إلى التدرج في إشعال الفرن لأن طينة مكة المكرمة تتحمل الحرارة القوية دفعة واحدة.

وتستغرق عملية الحرق من ساعتين إلى أربع ساعات، تسودّ الأواني في البداية لتلونها بالسناج السّنُو المنبعث من اللهب، ولكنها سرعان ما تصفرّ صفرة فاتحة، أو تكون بلون الأصفر المخضر، أو البني الفاتح. وبعد اكتمال عملية الحرق يُترك الفرن بقية ذلك اليوم لتبرد الأواني، ثم تُخرج في اليوم التالي وتكون جاهزة للتسويق.

وفي المنطقة الشرقية، تستخدم أفران مشابهة للأفران المستخدمة في مكة المكرمة

والمدينة المنورة مع اختلافات قليلة في توزيع الفتحات التي تصل بين المستويين السفلي والعلوي. فمن حيث الشكل تستخدم في الهفوف والمبرز والقطيف وجبل قارة أفران أسطوانية يبلغ قطرها متراً ونصف المتر ويزيد ارتفاعها على المترين. وهي تتكون من دورين: دور سفلي مبني بالحجر والطين له سقف على شكل قبة في وسطها فتحة واحدة مربعة ضلعها ثلاثون سنتيمتراً تقريباً؛ ودور علوي به أربع فتحات يصعد عبرها الدخان إلى أعلى. وبعد رص الأواني الفخارية داخل الفرن، ترص فوقها كسر من الفخار وصفائح الحديد على نحو ما يفعل الفخارون في المدينة المنورة ومكة المكرمة. ثم تليس الفرج التي بين الصفائح وكسر الفخار بالطين لمنع خروج الدخان من مكان آخر غير الفتحات الأربع التي في الدور العلوي للفرن. وتستغرق عملية الحرق من ثلاث إلى أربع ساعات حسب كمية الأواني، وتُزاد حرارة الفرن بالتدريج خلال عملية الحرق بإضافة المزيد من الوقود من الحطب والجريد وسعف النخيل.

وفي منطقة جازان تستخدم الأفران الأسطوانية أيضاً إلا أنها تختلف عن الأفران المستخدمة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والأحساء. فهي تُبنى من الطابوق بدلاً من الحجر، وتليس بالطين المخلوط بالتبن، وتُبنى ظاهرة فوق سطح الأرض، وتحزم من منطقتين بطوق حديدي حتى لا تتهدم أو تتصدع من شدة النار. ولها باب في إحدى جهاتها لحطب الوقود. وتوجد داخل الفرن دعامتان مبنيتان بالطابوق ترص عليهما من جميع الاتجاهات أسياخ حديدية قصيرة مليسة بالطين حتى لا تنحني من شدة الحرارة. وفوق هذه الأسياخ توضع رصتان من كسر الفخار: رصة من الكسر الكبيرة وأخرى من الصغيرة، وترص فوق هذه الكسر الأواني الفخارية المراد حرقها، الكبيرة فالصغيرة حتى يمتلئ الفرن. ثم تغطى فوهة الفرن برصتين من كسر الفخار أيضاً.

وبعد إتمام رصّ الأواني المراد حرقها داخل الفرن، يُدخل الحطب من باب الفرن المخصص لذلك، ويوزع بما يضمن وصول الدخان وحرارة النار إلى كافة أجزاء الفرن. وتصل حرارة النار والدخان إلى الأواني المراد حرقها عبر كسر الفخار المرصوصة على أسياخ الحديد، مما يضمن عدم تعرض الأواني إلى لهب النار بشكل مباشر. وتستغرق مدة الحرق من ساعتين ونصف إلى ثلاث ساعات، يستهلك خلالها الفرن حمل جمل من الحطب إن كان ممتلئاً بالأواني إلى فوهته. وبتكرار عمليات الحرق يتعرف الصانع على كمية

الوقود، والمدة اللازمة لإتمام عملية الحرق ونجاحها. فارتفاع الحرارة عن الحد المطلوب يؤدي إلى اعوجاج الأواني، كما أن انخفاضها يُنْتِج أواني بيضاء غير مستوية. ويعد الحرق بالأفران الأسطوانية من أساليب الحرق المتطورة، وقد استخدمه الإنسان منذ العصور القديمة.

وبالإضافة إلى أسلوب الحرق بالأفران الأسطوانية، وهو الشائع في جميع أنحاء المملكة، يُستخدم في محافظة القنفذة أسلوب آخر بسيط توضع فيه الأواني مباشرة مع الحطب. فيحفر الصانع فهدة في الأرض، وهي حفرة تسمى محراق، قطرها ثلاثة أمتار وعمقها نصف متر، يفرش أرضيتها بأعواد الحمض الدقيقة، ثم يضربها بالبسة وهي خشبة من شجر الأثل، حتى يتساوى بالأرض، ثم يضع الأواني على الفرش، الكبيرة أولاً ثم الصغيرة، ثم يَرُص عليها حطب الأثل أو السمر أو الطلْح حتى يُغطي الفخار، ثم يضع عليها لحاء الأثل أو قش الذرة حتى لا يُرى الحطب، ثم توقد النار مدة ساعة، ويتأكد من أن النار القوية قد وصلت إلى جميع الأواني. ويترك المحراق إلى الصباح، فيرفع الرماد ويُخرج الأواني من الحفرة، وهذه الطريقة بسيطة وبدائية.

أدوات الصناعة وأشكال الأواني الفخارية

تعددت أدوات الصناعة المستخدمة في مناطق المملكة المختلفة، كما اختلفت أشكال الأواني تبعاً لإنتاجها في مراكز صناعية متعددة.

أدوات الصناعة. تشابهت بعض أدوات الصناعة في مناطق المملكة في أسمائها ووظائفها أو في أسمائها دون وظائفها، وهي:

الدولاب: ويسمى في المنطقة الشرقية لِشّرخ. ويتكون من عود سميك من الخشب يسمى القطب متصل من أعلاه بعمود من الحديد مثبت فيه قرص، ومتصل من أسفله بمسمار يسمى خابور مثبت فيه قرصان؛ أحدهما فوق الآخر. العلوي منهما كبير ومصنوع من الخشب ويسمى الدستّة، والسفلي منهما مصنوع من الحجر ويسمى المطحنة. ويوضع الدولاب داخل حفرة خاصة ولا يظهر منه فوق سطح الأرض سوى القرص العلوي، ويثبت على فوهة الحفرة بواسطة عارضة خشبية تسمى الميزان. وعند الاستخدام يجلس الصانع على طرف الحفرة، وينزل رجليه داخلها، ويدير قرص الدستّة بقدمه، فيدور بذلك القرص العلوي الذي توضع عليه كتلة الطين المراد تشكيلها.

المِجْراد: ويسمى في مكة المكرمة والمدينة المنورة الجارود قطعة من الحديد على شكل طوق تستخدم لعمل القواعد المسطحة وحزوز القواعد.

المِشْط: وهو مشط صغير ذو أسنان صغيرة يستخدم لعمل النقوش والزخرفة المحزوزة.

المِضْراب: قطعة من الخشب مصنوعة بشكل مضرب. وتستخدم الكبانة والمضراب في صناعة الزير والجرة والجفرة الكبيرة.

ونذكر ما اختلف من أدوات صناعة الفخار في مناطق المملكة، ففي محافظة القنفذة يستخدم:

العود: قطعة من الخشب تستخدم لتمليس الإناء من الخارج.

الكَبَانَة: الكبانة كتلة مستديرة من الطين المحروق تملأ قبضة اليد.

المَخْرَط: قطعة من الحديد تستخدم في التسوية النهائية لشكل الإناء وتحسين استدارته.

المَصْنَع: قرص مقعر من الفخار بأحجام مختلفة.

المغْرَف: قطعة صغيرة من الخشب تستخدم لتمليس الإناء من الداخل.

المِنْقَار: أعواد من البوص أو القصب ذات سُمك مختلف تستخدم لثقب الإناء وإحداث فتحة توضع عليها الرقبة.

وهذه الأدوات لها أحجام مختلفة تتناسب مع حجم الإناء المراد صنعه.

وفي منطقة نجد تستخدم الأدوات التالية:

الخَيْزَرَانة: قطعة من عود الخيزران تستخدم لعمل النقوش والحزوز التي تنفذ على أبدان الأواني.

العَجَلَة: ترس صغير يستخدم لعمل زخارف مسننة ومتتابعة.

المَكْرة: وهي القطعة الخشبية التي تلف عليها الخيوط وتستخدم لعمل بعض الزخارف.

وأما الفخار المشكل باليد في منطقة جازان، فتستخدم له الأدوات التالية:

الجَرّة: وهي جرة عادية من الفخار تزال رقبتها وتثبت داخل حفرة صغيرة، وتستخدم كقاعدة تشكل عليها الأواني.

الحَجَر: قطعة من الحجر كروية الشكل تملأ قبضة اليد، تستخدم مع المضراب لتحسين استدارة الإناء وزيادة تماسكه. وهي تقوم مقام الكبانة عند صناع محافظة القنفذة.

المِقْياس: قرص من الطين يُرَكَّب على فوهة الجرة ويوضع عليه الإناء ليُكمل الصانع تشكيله.

وفي منطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة تستعمل هذه الأدوات:

الصَادِف: قطعة مربعة من معدن الصفر مخرومة من الوسط.

المِقْطاع: وهو مخيط (إبرة كبيرة) مثبت به خيط سميك يستخدم لفصل الإناء الذي يتم تشكيله عن كتلة الطين المتبقية على الدولاب.

ويستعمل في المنطقة الشرقية:

خيط القتم: خيط غليظ يُفصل به الإناء بعد تشكيله عن كتلة الطين المتبقية على الدولاب.

القطف: خشبة تستخدم لتمديد الفخار.

الأواني وأشكالها. يمكن تصنيف الأواني والأدوات التقليدية التي كانت تصنع من الفخار في المملكة تبعاً لوظائفها إلى ما يلي:

- الأواني والأدوات المستخدمة في صُنع الخبز وتحضيره.
- أواني تحضير القهوة وشربها.
- أواني الطبخ.
- أواني تقديم الطعام وتناوله.
- أواني نقل المياه والسوائل.
- أواني حفظ المياه وتبريدها.
- أواني حلب اللبن ومخضه.
- أواني تخزين الحبوب والتمور.
- المجامر (المباخر).
- المسارج.
- المواقد.
- المزهريات وأحواض الشجر.
- مواسير المياه الفخارية.
- المزاريب.
- لعب الأطفال.
- أدوات الشيشة والغلايين.

وتختلف أشكال الأواني الفخارية التقليدية تبعاً لاختلاف وظائفها واستخداماتها، كما أن أشكال هذه الأواني وأحجامها وأسمائها تختلف أحياناً من منطقة إلى أخرى. فبعض مناطق المملكة تختص بإنتاج أشكال معينة من الأواني الفخارية تُطْلَق عليها أسماء خاصة تختلف عن أسماء الأواني التي تشابهها في المناطق الأخرى.

يلاحظ مثلاً في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، تخصص الفخارين في إنتاج أواني حفظ المياه وتبريدها. أما الأواني التي توضع على النار فكانت تستورد من القنفذة وجازان لأن طينة الجنوب قوية وتتحمل الاستخدام على النار بعكس طينة مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد أشار محمد طاهر كردي إلى ذلك بقوله: «ولا تعرف بمكة المكرمة صناعة القدور من الفخار والطين فلهذه الأواني طين خاص،

وتراب مكة المكرمة لا يصلح لمثل هذه الأواني». (الكردي ١٣٨٥ ج٢ : ١٣٧).

وأهم الأواني التي كانت تنتج في مناطق المملكة المختلفة، هي:

الإبريق أو الكوز: إناء كروي البدن له مقبض وله بزبوز طويل. ويُعرف في المنطقة الجنوبية عموماً بهذا الاسم وقد ورد في لسان العرب ما يدل على استعمال العرب لهذين المسميين «الإبريق والكوز» قال: «... الإبريق إناء وجمعه أباريق فارسي معرب؛ قال ابن بَرّي: شاهده قول عدي بن زيدٍ:

ودعا بالصبوح يوما فجاءت
قينة في يمينها إبريق

وقال كراع: هو الكوز. وقال أبو حنيفة مرةً: هو مثل الكوز ...». جاء في المثل الشعبي: ما في جَهَنَّمْ كُوز بارِد.

الإبريق أو الكوز

البربوخ: وجمعه برابيخ، وهو ماسورة من الفخار تستخدم للصرف الصحي، ويبلغ طول الواحدة منها ٥٠سم. وهي من مصنوعات حواضر المنطقة الغربية مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف. ومفردة بربوخ ذات صلة بلفظ عربي فصيح كان يطلق على مجرى البول. جاء في لسان العرب «... بَرْبَخُ البول: مجراه».

البَرْبُوق: كان يستخدم للسقي في المزارع، وهو ماسورة قطرها ٦ بوصات، وطولها يتراوح من نصف متر إلى متر ونصف. ويبدو أن أصل اسم البربوق هو البربوخ السابق الذكر إلا أن العامة في المنطقة الشرقية قلبوا الخاء إلى قاف فنطقوها بربوق.

البُرمه: وهي وعاء على شكل القدر واسعة البدن وضيقة الفوهة ولها غطاء من الفخار، وتستخدم لطبخ اللحم والأرز في المنطقتين الجنوبية والشرقية، ومن اسمها اشتق أهل عسير اسم المِبَرِّم الذي يطلق على صانع الفخار عندهم، وهي فصيحة جاء في لسان العرب «... والبُرْمَةُ: قدر من حجارَة، والجمع بُرَم وبِرام وبرْم؛ قال طرفَةُ:

جـــاءوا إلـيـــك بـكـــل أرمـلـــة
شـعـثـاء تحـمـل مـــنـقـع الـبـرم

... والمُبَرِمُ: الذي يقتلع حجارة البرام من الجبل ويقطعها ويسويها وينحتها ...».

ويبدو أن البرمة الحجرية هي أصل البرمة الفخارية. وقد ورد في البرمة أمثال كثيرة في المنطقة الجنوبية مما يدل على كثافة حضور هذا الإناء في أذهانهم، مثل قولهم: البُرمَة تُزَيِّن المَدَق. وقولهم: بُرمَة الشِّركَةْ مَخْرُوقَه. وقولهم: الدراهم تَفْقَع البُرَام. وقولهم: قَالْ: بُرْمَةُ النَّاسْ تَغْلي قَالْ مُرّ وَخَلَّها. وقولهم: لا حُرْمَهْ وَلاَ بُرْمَهْ.

البُلْبُلَه: بضم الباء، وسكون اللام وضم الباء الثانية، وهي وعاء يعرف في المنطقة الوسطى والشرقية بالحِب أو الزير الصغير، ويسمى البلبلة في منطقة جازان. جاء في لسان العرب «... والحُبُّ الجَرَّةُ الضخْمَةُ. والحُبُ: الخابية؛ وقال ابن دريد: هو الذي يجعل فيه الماءُ، فلم يُنَوِّعْهُ؛ قال: وهو فارسي مُعَرَّبُ. قال: وقال أبو حاتم: أصْلُهُ حُنْب، فَعُرِّبَ، والجمع أحباب وحِبَبَةٌ، وحِبَابٌ». وغالباً يثبت على حامل خشبي أو معدني.

التُورَه: وهي قدر تستخدم لطبخ اللحم في الباحة، لها بدن أسطواني يميل قليلاً إلى الداخل وفوهته ضيقة. وقد عرف العرب هذا الإناء بهذا الاسم مبكراً. جاء في لسان العرب: «تور. التور من الأواني: مذكَّرُ، قيل هو عربي، وقيل: دخيل. الأزهري: التَّوْرُ إناءُ معروف تذكِّرُهُ العَرَبُ، تشرب فيه. وفي حديث أُمِّ سليم: أنها صَنَعَتْ حيسا في تور؛ هو إناءٌ من صُفْرٍ أو حجارةٍ كالإجَّانة وقد يتوضَّأ منه ...».

الجَحْل: وهو قدر على شكل جرة يعد فيه الطعام. وقد عرف بهذا الاسم في منطقة الباحة.

الجَحْلَه: وهي جرة بقاعدة مستوية وبدن منتفخ ورقبة قصيرة، ولها فوهة واسعة وعروة واحدة. وقد عرفت بهذا الاسم في المنطقة الشرقية.

الجرّه: وهي وعاء معروف يوضع فيه الماء تفنن صانعو الفخار في مناطق

جرة كبيرة (منطقة جازان)

المملكة في تجميلها، وجرار الجنوب عامة لها رقبة قصيرة، وجرار جازان لها بدن بيضي وقاعدة مقعرة. وتأخذ جرار القنفذة شكلاً بصلياً بقاعدة شبه مستوية. وفي المنطقة الشرقية تصنع الجرة ببدن بيضي ورقبة طويلة ولها ثلاث عراوٍ. وقد عرفت بهذا الاسم منذ القدم. جاء في لسان العرب «... الجَرَّةُ: إناءٌ من خزف كالفَخَّار، وجَمْعُها جَرٌّ وجِرَار ...».

الجَزَّه: وتعرف بهذا الاسم في القنفذة، وهي موقد للنار، وتسمى مركباً في جازان.

أوانٍ فخارية من منطقة جازان
(جزة، حيسية، كد)

الجفره أو الجفر: وهي قدر على شكل جرة لها غطاء يطبخ فيها اللحم، ومنها ما هو كبير الحجم يكفي لطبخ ربع ذبيحة، وفي منطقة جازان يطلق على الجفرة أيضاً اسم البرمة.

حجر الشيشة: وهي أداة لها شكل المبخرة يوضع فيها التبغ الذي يدخن على الشيشة أو النارجيلة. وتختلف أحجامها فمنها الكبير الخاص بتعميرة الشيشة، وغالباً تحمى من الكسر بأطواق من الصفيح وحجمها كبير نسبياً وتزجج أحياناً. أما أحجار النارجيلة فتأتي صغيرة غالباً.

الحيسيَّه: وهي زبديه تأتي على عدة أحجام، وتزجج بعض أنواعها، وهي معروفة في المنطقة الجنوبية حيث تستخدم لفتيت الخبز مع الحليب أو المرق، ولعل ذلك هو سبب إطلاق هذا الاسم عليها حيث خلط أكثر من صنف فيها. جاء في لسان العرب «الحيس: الخلط، ومنه سُمِّيَ الحيس. والحيسُ الأقط يخلط بالتَّمْر والسمن ...»، ولا تختص صناعة هذا الإناء بالفخار وإنما يصنع أيضاً من الخشب والنحاس.

الخَرْص: وله شكل الزير غير أنه كبير جداً وواسع، ويستخدم لتخزين التمر والحبوب والطحين. ويستخدم في المنطقة الشرقية بهذا الاسم لهذا الغرض وهو من فصيح العامة. جاء في لسان العرب

«الخَرْسُ والخِرْس: الدن... والصاد في هذه الأخيرة لغة. والخرّاس الذي يعمل الدنان...».

دورق الحرم: وهو دورق صغير الحجم بعروة واحدة يكفي لشرب شخص واحد، وكانت دوارق الحرم توضع بالآلاف في الحرمين المكي والمدني قبل إدخال نظام السقاية الحديثة.

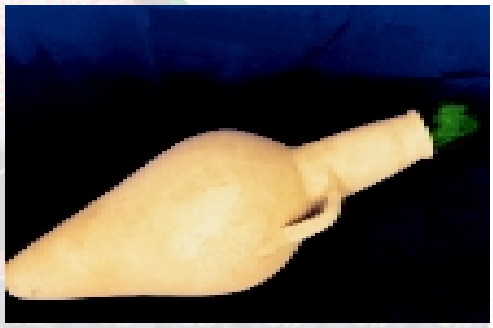

دورق الحرم

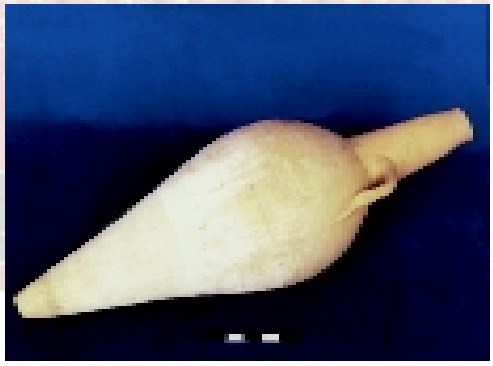

دورق مكة المكرمة، الحجم الكبير الذي يحمله السقاء

دورق مكة: ويمتاز برقبة ضيقة وطويلة وبدن بيضي ينتهي بقاعدة مخروطية، ويصنع بحجمين: دورق كبير يحمله السقّاء الذي كان يسقي الناس في أروقة الحرمين وفي شوارع مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، ودورق متوسط كان يرص في حصوات الحرمين إلى جانب دوارق الحرم الصغيرة.

الرجَبِيَّه: وتجمع على رجابي، وهي نوع من شِراب الماء لها رقبة طويلة، وتعرف بهذا الاسم في جازان وفرسان. وتمتاز الرجبية بزخارف بارزة مضافة على الرقبة والجزء العلوي من البدن.

الرَّكْوَه: وعاء صغير لحفظ الماء وتبريده، له بدن منفوخ ورقبة قصيرة بين عروتين بارزتين فوق بدن الإناء. وتصنع في المنطقة الجنوبية، وهي من فصيح العامة. جاء في لسان العرب «... الرَّكْوَةُ والرِّكْوة: شِبْهُ تورٍ من أدم... إناءُ صغير من جلد يشرب فيه الماءُ، والجَمْعُ رَكَواتٌ، بالتحريك، ورِكاءٌ».

الزِّبْدِيّه: وهي وعاء صغير يستخدم لشرب المرق. تصنع في بعض مناطق المملكة. وفي القنفذة وجازان يزجج هذا الإناء بشكل جيد، وقد ورد فيه أمثال،

مثل قولهم في الحجاز: أَخَذُوا الْهَدِيّه وْكَسَرُوا الزِّبْدِيّه.

الزير: وله شكل بصلي ورقبة قصيرة، وهو على نوعين في المنطقة الجنوبية، زير ثابت وزير نقل، واسم الزير يطلق على الطبل في منطقة القنفذة. كما أنه يحمل الاسم نفسه أي الزير في أغلب مناطق المملكة، وفي المنطقة الشرقية تُصنع هذه الأزيار على حجمين، يطلق على الكبير منها اسم الزير، أما الصغير فهو (حِب) وهي منتشرة في البيوت، والمساجد، والقهاوي، والأسبلة منذ القدم، وقبل معرفة الناس لأدوات التبريد الحديثة، وفي الحجاز يُبرد شراب السوبيا وعصير العنب بأزيار أصغر قليلاً من أزيار الماء.

ومفردة الزير من فصيح العامة، جاء في لسان العرب «... الزِّيرُ: الدن والجَمْعُ أزيارٌ وفي حديث الشافعي: كنت أكتب العلم وأُلْقِيهِ في زير لنا؛ الزّير: الحب الذي يجعل فيه الماء». وقد جاء في الأمثال الشعبية في الحجاز: فصية تسند الزير. والفصية هي نواة التمر أو فصمة التمر.

الزير المدني: وهو زير كبير الحجم، له قاعدة مستوية وبدن بيضي ورقبة طويلة واسعة، ويتسع الزير المدني لثلاث تنكات من الماء، ويصنع الجزء السفلي للزير (البدوة الأولى) على الدولاب بارتفاع شبرين ثم توضع البدوة على قطعة خشبية وتترك مقدار نصف ساعة لتجف، وبعد ذلك يُكَمَّل بناء الزير باليد بحبال من الطين تنظم في شكل أطواف فوق البدوة.

الزير المرفع: وهو زير صغير الحجم له عروتان وقاعدة مخروطية مدببة يقف على حامل خاص مصنوع من الحديد، ويبلغ ارتفاع الزير المرفع ٦٠سم وقطر فوهته ٢٥سم. وقد عرف بهذا الاسم في الحجاز.

السراج: وهو زبدية صغيرة لها زوايا، يركز فيها خيط الفتيل، وفي وسطها نتوء بارز يمر به سلك يعلق به السراج. وغالباً تطلى بطلاء الرصاص الزجاجي، في القنفذة وجازان.

سراج من الفخار المزجج

جره (شاطره) القنفذة

الشَـاطِرَه: وهي الجـرة الصغـيرة، وتعرف بهذا الاسم في محافظة القنفذة.

الشربه أو الجبنه: وهي وعاء يستخدم لطبخ القهوة، له بدن كروي ومقبض، ورقبة طويـلة وفوهة ضيقة بـها مصب صغير.

الشـربه: وتمـتاز بـوجود عـروتين ملتصقتين برقبتها، وتصنع من الفخار، وهي القلة، ومـنها نوع يعرف بالشربة المدنية. وتأتي على أحجام وأنواع، فمنها الصغير ويسمى الزمزمية نسبة لماء زمزم، ومنها الكبير الذي يستعمل في البيوت، ومنها المتوسط الذي يستعمل في المقاهي. يقول محمد علي مغربي «كانت الشراب التي تستعـمل في البيوت كبيرة الحجم بحيث تتسع الواحدة منها لبضعة لترات من الماء، بينما كانـت الشراب الصغيرة التي تستعمل في المقاهي صغيرة بحيث تتسع لمـا يقرب من زجاجة واحدة مـن زجاجات ماء الصحة»، (المغربي ١٩٨٢: ١٨٢).

الصحن: ويصنع بأحجام مختلفة.

الغضـاره: إناء معروف يـأتي على نوعين: كبيرة للعجن، أو صغيرة لـلماء والمرق، وهي من فصيح العامة. جاء في

جبنة (شربة) وعاء يستخدم لإعداد القهوة في جنوب غرب المملكة

لسان العرب «الغضارَةُ الطين الحُرُّ، وقيل الطين اللازب الأخضر. والغَضَارُ الصحفة المتخذة منه».

يقول الشاعر عبدالرحمن البراهيم الربيعي:

زرته ولو كلّف عَلَيَّهْ مزارهْ
لو كَانْ من دونه دباديب وَاكْلافْ
واطْفي لهيب بالحشا مع حَراره
من ما ثمَان كنِّه الحصْ بَصْداقْ
ريْق احلى من سكّرٍ في غَضَاره
في دَرْ عَفْرا قايد الذُّودْ ميلاَفْ

فناجين القهوة: وتسمى أيضاً في منطقة الباحة الزبادي والمنامية. تستخدم في شرب القهوة وتصنع بثلاثة مقاسات: صغير ومتوسط وكبير، وغالباً تزجج بطلاء الرصاص الزجاجي في المنطقة الجنوبية.

الفنجان: وهو كأس صغير عرف بهذا الاسم في المنطقة الشرقية واستعمل

نموذج للفناجين المزججة

فناجين من الفخار المزجج والمحزوز (منطقة جازان)

هناك لشرب الماء أو اللبن، وليس له علاقة بفنجان القهوة.

القدح: إناء فخاري كروي لحفظ اللبن أو السمن أو المرق. جاء في المثل الشعبي: شعاب القدح ولا شرابه، وهات قدحي بلا مرق.

قص الشجر: وهو بشكل زبدية كبيرة، وله أحجام مختلفة تتدرج من الصغير إلى الكبير.

القلاص: وهو الكأس الذي يستخدم لشرب الماء. والقلاص هي الكلمة الإنجليزية glass، ويستعمل هذا المصطلح في المنطقة الشرقية.

الكانون: ويتكون من جزأين كل منهما على شكل (زبدية) جزء علوي كبير يملأ بالفحم وتحته الرماد. حيث تشعل النار بالفحم، له ثلاثة نتوءات بارزة، وجزء آخر صغير يحمل الجزء العلوي. ويبلغ ارتفاع هذا النوع من الكانون ٣٥سم.

ومصطلح الكانون من فصيح العامة حيث جاء في لسان العرب نقلاً عن الجوهري «الكانون والكانونةُ الموقِدُ، والكانون المصطلى». أي مكان التدفئة.

الكد: وهو جرة صغيرة لها بدن بيضي ورقبة صغيرة، وتعرف بهذا الاسم في جازان.

الكَرُّوز (الكرّاز): وهو الإبريق، وشكله مثل المصخنة بعروة واحدة وله بزبوز.

لعب الأطفال: وكانت تشمل نماذج صغيرة لمركب أي موقد، وجبنة أي دلة قهوة، وبيت عشة، وهذه الألعاب خاصة بالبنات، أما الأولاد فكان يصنع لهم نموذج إبريق.

المبخرة: تصنع المباخر أو المجامر الفخارية في أغلب مناطق المملكة وبعدة أحجام وأشكال، ففي المنطقة الشرقية تصنع المباخر بثلاثة أحجام (صغير، ووسط، وكبير) وفي منطقة الباحة تصنع المجامر على شكل إناء أسطواني قليل الارتفاع تعلوه عروتان متقاطعتان (ربيع ١٩٨٩: ١٩-٢٢). أما في منطقة جازان ومحافظة القنفذة فيُصنع نوعان من المباخر، النوع الأول مباخر مطلية (مزججة)، وتأتي على ثلاثة أنواع مبخرة سادة، ومبخرة بأذن مثلثة، ومبخرة مشبوكة. أما النوع الثاني فيشبه المجامر المطلية، ويصنع منها في محافظة القنفذة نوعان أحدهما يسمى فلاتي أي بدون عراوٍ، والآخر بعراوٍ ويسمى مشبرا. وتدهن المباخر بالجير وتزخرف بالباردة والبوية في عموم المنطقة الجنوبية.

كد: إناء من الفخار (جازان)

مبخرة من الفخار المزجج　　مبخرة مشبوكة

ومصطلح المجامر الذي مازال يستعمل في المنطقة الجنوبية هو من فصيح العامة، جاء في لسان العرب «... المجامر جَمع مِجْمَر ومُجْمِر، فبالكسر هو الذي توضع فيه النار، والبَخُورُ وبالضَّمِّ الذي يتبخر به وأعِدَّ لَهُ الجَمْرُ...».

المخَضَّة: وتستخدم لمخض اللبن، وهي إناء ضيق من أعلاه واسع من أسفله له عروة واحدة. ولاستخدام المخضة يُحضر اللبن في غضارة، ويُصب في المخضة وتقفل فوهتها بقطعة من الجلد يحكم ربطها على الفوهة، ثم تخض وهي على الأرض حتى تنفصل الزبدة عن اللبن.

المخمرا: إناء تعد فيه المقادير القليلة من الطعام، ويمتاز بفوهة واسعة.

مَدَرَه: وعاء يحضر فيه السمن الحار مع العريكة.

المرزاب: (راجع: المزراب).

المرزام: (راجع: المزراب).

المركب: (راجع: الجزّة).

المروبى: إناء كبير يشبه الجحل يروّب فيه اللبن.

المِزْرَاب: وهو مزراب المطر، وقد عرف في المنطقة الشرقية بهذا الاسم ويصنع على شكل ماسورة طولها نصف متر وقطرها ٨سم تقريباً. ولفظة المزراب من فصيح العامة جاء في لسان العرب «... والزِّرْبُ: مسيلُ الماءِ. وزربَ الماءُ وسَرِبَ إذا سالَ... ويقالُ للميزاب: المِزْرابُ والمِرْزابُ؛ قال: والمِزْرابُ لغة في الميزاب...». كما أنه يُصْنع أحياناً من الخشب أو المعدن، ويسمى في المنطقة

مشهب (مشهف)

الوسطى (المرزام) يقول الشاعر الشعبي إبراهيم بن جعيثن:

هذا زمان به يحير الحليما
رخْص البياض وزاد سعر المجاهيم
بنىً بْغيرَ السّاس ما يسْتقيما
ما ينتهي طولٍ بليًّا مقاديم
ياسرْعْ ما تلقا عَماره هديما
الى عاب ساسه ما تسرَّ المرازيمْ

المزرعه: وهي أحواض للزراعة بأحجام مختلفة توضع بها شتلات داخل البيوت.

المزهريات: وتصنع في بعض مناطق المملكة بأحجام مختلفة لتزرع فيها الزهور والورود للزينة. واستخدام الورود والنباتات العطرية في مناطق جازان ونجران وعسير والباحة ومحافظة القنفذة من التقاليد والعادات المتوارثة التي يحرص عليها الناس.

المسعط: (راجع: الموجر)

المِشْهَب: وهو وعاء على شكل صحن كبير له مَمْسك من طرفه، معروف في المنطقة الجنوبية ويستخدم لحمس البن على النار، كما يستخدم في إعداد رغيف الخبز ويسمى في القنفذة مشهف.

المصب: إناء واسع له مصب جانبي قرب شفته تسكب به السوائل في القربة أو القرعة وقد يروّب به اللبن، ويعرف بالاسم نفسه في جازان والقنفذة وتصنع منه في هاتين المنطقتين أحجام كبيرة.

المصخنه: وهي شربة بعروة واحدة.

المَعْجَن أو المِعْجَنَه: وهو وعاء كبير متسع الفوهة. يستخدم في عجن الدقيق ويصنع بحجمين، كبير وصغير. عرف في المنطقة الجنوبية باسم المعجن وفي المنطقة الشرقية باسم المعجنة وأحياناً

تستعمل الغـضارة الكبيرة في نجد لهذه المهمة.

المِغْطـاه: وهو غطاء البـرمة والزير والخرص، ويصـنع على شـكل قرص دائري له ملزم في وسط أعلاه.

المِلْحَه: وهي وعاء على شكل صحن عميق يتراوح قـطره بين ٢٥ و٣٠سم، له ممسكـان مخرومان، يخبز فيـه الخبز على الحجر.

الملقم: وعاء صغير مثل الـكأس له مصب صغير متصل بشفته.

الموجر: وهو المسعط وهو مـعروف بهذا الاسم في المنطقة الجنوبية ويستخدم في تقديم الطعام للأطـفال الصغار قبل أن تعرف الرضّاعة الصناعية.

الميفى: تجمع على موافي أو موافيه وهي التنور، والميفى لها شكل أسطواني مبني داخل دكة فـي مطبخ المنزل الذي يزود عادة باثنين أو ثلاثة موافيه، والميفى تستخدم لصناعة الخبز وطبخ الطعام في المنطقة الجنوبية، وهي من فصيح العامة. جاء في لسان العرب «... الميفى: طبق التنور. قال رجل من الـعرب لِطبَّاخه: خلب ميفاك حتى يَنْضَجَ الدَّوْدَقُ، قال: خَلِّبْ أي طبق، والدودق: الشواءُ».

النَّارجِـيله: وشكلـها يشبه شـكل المصخنة. إلاّ أن لها عنقاً طويلاً ينتهي

المصب

المصخنة

الملحة

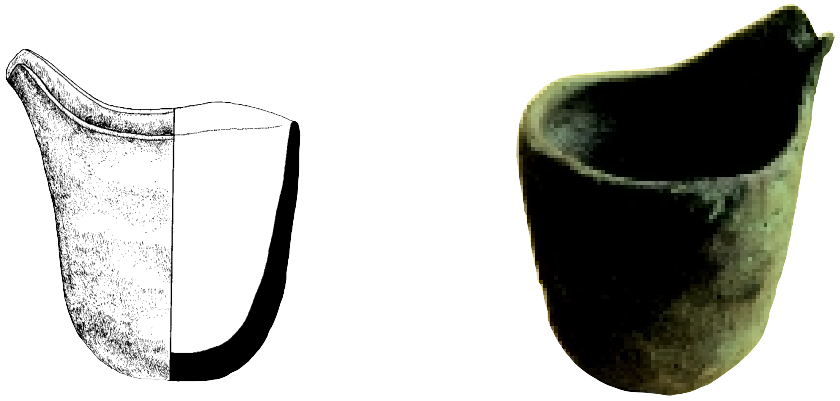

مَلْقَم (القنفذة وجازان)

إلى الأعلى بفوهة متسعة، ولها ثعبة مستوية تخرج من أعلى الصدر وذلك للسماح لقصبة المبسم بالمرور خلالها. وهي معروفة في المنطقتين الشرقية والغربية، تستعمل لتدخين التنباك، وغالباً ما تكون مصنوعة من الزجاج وتسمى الشيشة أيضاً. وتصنع أيضاً من الفخار أو الخشب. وعموم هذه النارجيلات بصلية البدن، وتسمى في المنطقة الشرقية القدو وتنصب على حامل خشبي.

الوجار: وهو موقد النار، ويسمى الوجَاغ أيضاً.

وفي منطقة عسير يصنع الفخارون الجوحل وهو شبيه بالزير ويستخدم لحفظ الماء، والكوز وهو الإبريق، والحيسي وهو فنجان صغير للقهوة يُجلب من جازان ويلون بألوان مختلفة في منطقة عسير، ويجبَّر إذا كسر، والغضار الذي يوضع فيه المرق، والمَدرة التي تستعمل لتحضير السمن الحار وعمل العريكة، واليبنة أو الجبنة المشار إليها آنفاً التي تستخدم لغلي الماء وعمل القهوة، والمركب وهو الموقد الذي تشب فيه النار، والموسم وهو التنور الذي يخبز فيه الخبز، والفرغ وهو أقصر من التنور، والعكز وهو إناء يشبه الصحفة مصنوع من الطين تسخن فيه الحبوب، والمشهف ويستخدم لحمس القهوة ويؤدي عمل المحماس والمباخر أو المجامر، التي تلون بعصارة البرسيم، أو بلون بني داكن يسمى الزيرة يستخرج من الطبيعة، كما تلون بالجص الأبيض، وبالمشق وهو جص أحمر يوجد في

الطبيعة وبالخورمة وهو لون بين الأبيض والرمادي يستخرج من الطبيعة أيضاً، وتضاف إلى هذه الألوان مادة صمغية لتثبيتها.

وفي منطقة نجران يصنع الفخارون البرمة، وهي قدر من الفخار، والتنور والزير والمجامر التي تشبه المجامر العسيرية، وإناء صنع القهوة الذي يسمونه جمنة.